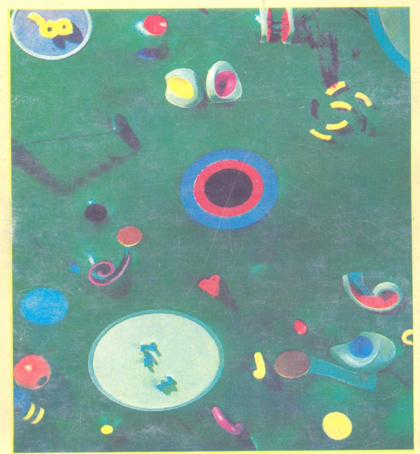
من المسرح الإسبانى

الواقع والخيال ودراما الحرب الأهلية الإسبانية



- الحورية الهاربة — تأليف : اليخاندروكاسونا
- نوفمبر وقليل من العشب — تأليف : أنطونيوجالا

ترجمة وتقديم : زيدان عبد الحليم زيدان

المشروع القومى للترجمة

161

المشروع القومى للترجمة

من المسرح الإسبانى :
الواقع والخيال ودراما الحرب الأهلية الإسبانية

١ - الحورية الهاربة

تأليف : اليخاندرو كاسونا

٢ - نوفمبر وقليل من العشب

تأليف : أنطونيو جالا

ترجمة وتقديم

د . زيدان عبد الحليم زيدان



Antonio Gala

Noviembre y un poco de yerba

(Historia dramática en dos partes)

مقدمة

ولد اليخاندرو رود ريجيث الباريث - الاسم الحقيقي لاليخاندرو كاسونا - في الثالث والعشرين من مارس عام ١٩٠٣ في قرية بيسويو بمنطقة استورياس بشمال اسبانيا وعاش بها حتى سن الخامسة . كان والداه يعملان بمهنة التدريس وعليه تنقلت الأسرة إلى أماكن عديدة منها مدينة مرسية التي عاشت فيها حوالي خمس سنوات من ١٩١٧ حتى ١٩٢٢ وهي أفضل سنوات حياة كاسونا فهناك بدأ تمثيل بعض الأعمال المسرحية مع أصدقائه في مسارح القرى المجاورة لمدينة مرسية وتعرف أيضاً على أستاذ الأدب اندريس سوبيخانو الذى أعطاه العديد من الأعمال المسرحية ليقرأها وشجعه على الكتابة .

وفي ١٩٢٢ انتقل إلى مدريد والتحق بمدرسة المعلمين العليا وانهى دراسته فيها عام ١٩٢٦ وعين مدرسا فى بعض المدارس الإبتدائية عام ١٩٢٨ دون أن ينهي دراسته الجامعية في كلية الفلسفة والآداب بجامعتي أوبييدو ومرسيه واتجه إلى الكتابة وحضور حلقات السمر الأدبية التى كانت تقام فى بعض مقاهى مدريد . وفي ١٩٢٩ تم عرض مسرحية «جريمة لورد ارتورو » التي اقتبسها من أوسكار وايلد في مدينة سرقسطة وكتب مسرحية «الحورية الهاربة» وفي ١٩٣٠ نشر ديوانه الشعرى «نادى الضفدع» على حسابه الخاص . وفى ١٩٣١ عين مفتشا بمدارس استورياس ومن هناك أرسل مسرحية «الحورية الهاربة» إلى الكاتب المسرحى القطالانى ادريان جوال لكى يقرأها ويساعده على عرضها على خشبة المسرح وبالفعل قام بإرسالها إلى الممثلة الأسبانية الشهيرة مارجريتا شيرجو التى تحمست للمسرحية بعد قراءتها ووعدت بعرضها في أقرب فرصة ممكنة .

وفى نفس العام انتقل كاسونا إلى مدريد وتم تعيينه مديراً «للمسرح الشعب» من قبل المؤسسة التربوية بوزارة التربية والتعليم وكذلك مديراً «للمسرح المتجول» بهدف عرض بعض الأعمال المسرحية لجمهور القرى الصغيرة التى لا تتاح لهم فرصة مشاهدة المسرح وكانت هذه الفترة التى استمرت خمس سنوات من أخصب وأفضل أيام كاسونا كما يعترف هو نفسه لأنه استفاد منها الكثير من الخبرات وفرصة الإطلاع على أفضل أعمال الكتاب المسرحيين وقد عمل هذا على مساعدته بعد ذلك على الكتابة للمسرح وإن كان قد كتب بعض الأعمال القصيرة كى تمثل على «المسرح المتجول» مثل «سانشو بانثا فى جزيرته» .

وفى عام ١٩٣٤ عرضت مسرحية «الحورية الهاربة» وحققت نجاحاً جماهيرياً منقطع النظير وأجمع النقاد - على غير العادة - على أنها من أفضل الأعمال المسرحية التى عرضت على مسارح إسبانيا فى القرن العشرين ونال كاسونا عليها جائزة «لوبى دى بيجا» وهى أعلى جوائز الدولة للمؤلفين المسرحيين الناشئين كما أنه نال من قبل جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب على كتابه «زهرة الأساطير» وهو نوع من الأدب يكتب للأطفال لتنمية ذوقهم وحسهم الأدبى . وأصبح كاسونا ما بين عشية وضحاها واحداً من أشهر كتاب المسرح فى إسبانيا ويبدأ الناس يرون فيه واحدا ممن عقد عليهم الأمل فى تجديد المسرح الإسبانى الذى كان يمر فى ذلك الوقت بأزمة شديدة وكانت حالته يرثى لها الأمر الذى جعل المفكرين ونقاد المسرح يلفتون أنظار المجتمع من خلال وسائل الإعلام المختلفة إلى خطورة المسألة وذكروا أن الأسباب التى أدت إلى هذه الأزمة هى : المؤلف والمنتج والفرق المسرحية المتجولة والسينما والمخرج والممثل والناقد . وبالفعل فقد كان المؤلف أحد الأسباب الرئيسية فى هذه الأزمة لأنه حوّل المسرح إلى مجرد تسلية ومكان لقضاء الوقت وخلت أعماله من

الاحتياجات الفكرية وكان شغله الشاغل الثراء والتكسب وقد حمله هذا إلى كتابة أعمال مسرحية تخلو من الآراء الجريئة الهادفة لدرجة أن بعض الكتّاب كان يكتب خمسة أعمال سنويا بهدف إرضاء ذوق الجمهور من ناحية والمنتج من ناحية أخرى .

وبعد هذا النجاح استقال كاسونا من وظيفته وتفرغ للكتابة للمسرح وفى ١٩٣٥ عرضت مسرحية «الشيطان مرة أخرى» على الرغم من أنه كتبها عام ١٩٢٨ وحققت نجاحاً كبيراً أيضاً ولكن المسرحية التى أحدثت ضجة كبيرة كانت «ناتا تشتنا» التى عرضت فى ديسمبر ١٩٣٥ فى مدينة برشلونة وفى فبراير ١٩٣٦ عرضت فى مدريد .

ونشبت الحرب الأهلية الإسبانية فى ١٢ يوليو ١٩٣٦ وحدّت كثيرا من نشاط الفرق المسرحية الأسبانية فى الشهور الأولى وقضت عليها تماماً بعد ذلك - يذكر أن مسرحية «ناتا تشتنا» عرضت فى برشلونة من سبتمبر ١٩٣٦ وحتى فبراير ١٩٣٧ - مما اضطر بعض الفرق أن تترك إسبانيا وتتجه إلى دول أمريكا اللاتينية وفى هذه الفترة انضم كاسونا - كان يخرج ويمثل بعض أعماله - إلى فرقة بيبيتا دياث ومانويل كويادو وسافروا إلى أمريكا اللاتينية فى رحلة عمل استمرت عامين عرضوا خلالها فى المكسيك وكوبا وبويرتوريكو وفنزويلا وكولومبيا وبيرو وشيلى والأرجنتين . وكانت هذه الفترة مفيدة جداً لكاسونا حيث كتب وعرض خلالها بعض أعماله ففى عام ١٩٣٧ عرض مسرحية «ممنوع الانتحار فى فصل الربيع» ، وفى عام ١٩٣٨ عرض فى لاهافانا مسرحية «جريمة لورد ارتورو» بعد أن أدخل عليها بعض التعديلات ، وفى عام ١٩٣٨ عرضت فى كاراكاس مسرحية «رومانس فى ثلاث ليال» وفى ١٩٤٠ عرضت فى مونتفيديو مسرحية «سيمفونية لا تنتهى» ، وهذا بالإضافة إلى الندوات التى قام بإلقائها فى المسارح والجامعات والمنتديات الثقافية فى دول أمريكا اللاتينية .

وفى عام ١٩٣٩ قرر كاسونا أن يستقر هو وزوجته وابنته الوحيدة فى الأرجنيتين وأصبحت العاصمة الأرجنتينية مركز لنشاطه الأدبى ففى ١٩٤٠ كتب بالتعاون مع الصحفى والكاتب الأسبانى فرانثيسكو مدريد مسرحية « مارى كورى» ثم كتب هو وحده «ثلاث زوجات كاملات» عام ١٩٤١ ، مسرحية «سيدة الغجر» عام ١٩٤٤ ، «مركب بلا صياد» عام ١٩٤٥ ، «صاحبة طاحونة اركوس» عام ١٩٤٧ ، «الأشجار تموت واقفة» عام ١٩٤٩ ، «المفتاح فى العلية» عام ١٩٥١ ، «سبع صرخات فى البحر» عام ١٩٥٤ ، «الكلمة الثالثة» عام ١٩٥٣ ، «تاج الحب والموت» عام ١٩٥٥ ، «المنزل ذو الشرفات السبع» عام ١٩٥٧ ، «خطاب إلى مجهولة» عام ١٩٥٧ و«ثلاث ماسات وامرأة» عام ١٩٦١

لم يكتف كاسونا بالكتابة للمسرح فقط بل كتب أيضاً للإذاعة وللسينما بعض الأعمال نذكر منها «عشرون عاما وليلة» عام ١٩٤٠ ، «فى بوينوس ايرس القديمة» عام ١٩٤١ ، «عندما ينمو البرتقال» عام ١٩٤٣ ، «ناتا تشتنا» عام ١٩٤٣ ، «ماريا ثيلبستى» عام ١٩٤٤ وقام أيضاً بإعداد سيناريو لأعمال كتاب آخرين مثل «معلمة العمال» للكاتب الإيطالى ادموندو دى اميسيس (١٨٤٦ - ١٩٠٨) ، «بيت الدمى» للكاتب النرويجى المعروف هنرك إبسن (١٨٢٨ - ١٩٠٦) ، «الجد» للكاتب الإسبانى بيريث جالدوس (١٨٤٣ - ١٩٢٠) ، «مارجريتا الراهبة» للكاتب الإسبانى الفوانسو العاشر الحكيم (١٢٢١ - ١٢٨٤) و«مارتين» للكاتب الفرنسى جين جالك برنارد .

ولم يتوقف كاسونا عند هذا الحد فقام خلال اقامته فى الأرجنتين بعمل بعض التعديلات على بعض المسرحيات لكبار الكتاب الأسبان مثل «مخادع اشبيلية» لترسو دى مولينا وعرضت فى بوينوس إيريس عام ١٩٦١ و«ابريانيث وحاكم أوكانيا» للوبى دى بيجا وعرضت أيضاً فى بوينوس إيريس عام ١٩٦٢ بمناسبة الذكرى الأربعمائة لمولد لوبى دى بيجا وقام أيضاً

بتـرجمـة بعض أعـمال الكاتب الفـرنسى الكبـيـر هـ . ر . ليزمـاند إلى الإسبانية مـثل «الفاشلون» ، «مجنون السماء» و «البريئـة» وسافر إلى عدة دول أروبية بهدف عرض أعماله المسرحيـة المترجمة لأن أعماله ترجمت إلى أغلب لغات العالم ومن بينها لغتنا العربية حيث قام أستاذنا الفاضل الدكتور محـمود مكي بترجـمة مسـرحيتى «مـركب بلا صياد » و«الأشـجار تموت واقفـة» وشفعهـما بمقدمـة قيمة وقـام الدكتور مـحمد الأمين طه بترجـمة «الأشجـار تموت واقفة» و «الـكلمة الثالثـة» و «المنزل ذو الشرفـات السبع» والأستاذ الدكتـور حسين مؤنس ترجم مسرحيـة «ثلاث زوجات صالحات» والأستـاذ على إبراهيم الأشقر مـسرحيـة «سيدة الفـجر» والدكتـور حسن أورغلى مسـرحيتى «الأشـجار تموت واقفـة » و «ممنوع الانتحـار فى فصل الربيع» .

ومنذ عام ١٩٥٦ أحـس كاسونا برغـبة شديدة فى العودة إلى بلاده لأنه كان يخشى أن يؤثر بعده عنها على أعصابه وروحـه وأحاسيسه وبهذا يفقد سعادتـه الأخيرة فقرر أن يعـود إلى اسبانيا خـاصة وأن الحكومة الإسبـانية أعلنت ترحيبها بمقدمه إذا فضل العودة إلى اسبانيا وبالفعل عاد إلى بلده فى ١٩٥٨ واستقر فى مدريد وبدأت مسارح مـدريد تتهافت على عرض أعماله المسرحـية القديمة والجـديدة وكتب مسرحـيتين «الفرس ذو المهـماز الذهبى» وعرضت فى مدريد عام ١٩٦٣ وحققت نجاحاً كبيراً واثنى عليها كبار النقاد المسرحيين واثبتوا أن كاسونا لا يزال قـادراً على تحقيق انتصارات جديدة فى عالم المسرح وقد اثلجت هذه الآراء صدر كاسونا وغـمرته بسعادة كبيرة لا حدود لها . وقام بتكوين فرقـة مسرحية تحمل اسمه واستـأجر أحد مسـارح مدريد من أجل عرض أعماله المسرحية .

وعلى الرغم من سـعادته الهـائلة . بوجوده فى اسـبانيـا وتذوق طعم النجاحات الكبرى التى حـققتها أعماله . واهتمـام الدارسين والباحثين بها

وإعداد الرسائل العلمية عنها فى الجامعات الإسبانية والأجنبية ووجوده على قمة المشاهير وحديث العالم كله فى الجرائد والمجلات والندوات ، إلا أنه كان يعانى من ضيق فى الشريان التاجى كان يسبب له اغماءات تصل أحيانا لدرجة الموت ، الأمر الذى جعله يقرر إجراء عملية جراحية بعد انتهاء الموسم المسرحى فى مدريد . وحدد يوم ١٣ يوليو ١٩٦٥ لإجراء العملية واجريت بنجاح بعد أن بقى عدة ساعات تحت تأثير المسكنات وتماثل للشفاء وبدا لأصدقائه وجمهوره أن هذه الأزمة التى تعرضت لها صحته قد مضت وبدأ يستعد لمغادرة المستشفى ومواصلة العمل ، غير أن صحته تدهورت فجأة فانتقل فى ١٧ سبتمبر ١٩٦٥ إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية أخرى وتوفى فى المستشفى وتم نقل جثمانه إلى مسرح «لارا» حيث قام بوداعه والصلاة عليه مئات الآلاف من أصدقائه ومحبى فنه وفى اليوم التالى تم نقل رفاته إلى مدافن مدريد وسط حشد جماهيرى كبير من رجال الدولة والمخرجين والمؤلفين والممثلين والصحفيين وبهذا بكت إسبانيا مؤلفها المسرحى الذى استطاع أن يرفع راية الأدب الأسبانى فى أنحاء العالم كله .

الواقع والخيال فى مسرح كاسونا :

انتهج كاسونا طريقة جديدة تقوم على المزاوجة بين الواقع والخيال فى بعض أعماله المسرحية مثل «الحورية الهاربة» ، « ممنوع الانتحار فى فصل الربيع» و «الأشجار تموت واقفة» وفى هذه الأعمال ينطلق كاسونا من الواقع وبعد أن يفوقه ، يعود إليه لكى يثبت أنه هو الذى ينتظر ويفرض نفسه وكانت فلسفته تكمن فى أنه إذا كانت الحياة الحقيقية لا تسعد الإنسان فمن حقه أن يبحث عن السعادة فى عالم الخيال حيث يستطيع أن يحلم كما يحلو له دون أن يعترضه أى عائق ولكنه يعود ليؤكد أن الواقع هو الذى يفرض نفسه ودون أن يلجأ إلى تهويل الخرافة أو ترك الخيال سارحا منطلقاً بغير قيود . ويلاحظ أيضاً فى مسرح كاسونا رفض القيم السلبية

للروح كالحقد والأنانية والحسـد والصغائر والنفاق ، والحب دائماً ممكن فى مسرحه فهو ليس تراجيديا على طريقة جـارثيا لوركا ولاشهوانيا مثل مسرح بابيى انكلان . فكاسونا مؤلف مؤمن بالخير وبالقيم الإيجابية لحياة الإنسان ، وهو متفائل عميق الاعتقاد فى أن الخير هو الطريق المؤدى للسعادة .

وفى مسرحية «ممنوع الانتحار فى فصل الربيع» يقوم الدكتور اربيل رجل العلم الذى يعيش معذباً لأن أغلب ذويه انتـحروا وهم فى ريعان الشباب ، يقوم بشراء منزل فى الجبل ويعيش هناك مكرساً كل وقته للدراسة والرياضة البدنية والروحيـة وسماع الموسيقى وعليه عاش حـتى سن السبعين . يترك كل ثروته لتلميذه الدكتور رودا ويطلب منه أن يؤسس دارا يطلق عليها اسم «دار المنتحـرين» مهـمتـها التقـاط هؤلاء المعذبين الذين يـريدون وضع حد لحيـاتهم . وفى الوقت الذى يبـدو فيـه أن كل شئ موجـود فى هذه الدار يدعو لموت ارادى جميل ومريح حيث توجـد أفضل أنواع السموم ، بحيرة ، حدائق وجبال ، إلا أن الرواد الذين يصلون بهـدف الانتحار فى أول فرصة تتاح لهم عندمـا يرون سهولـة الموت يبدأون فى تأخيـر عملية الانتـحار . وتبذل لـهم الدار والعاملون فـيهـا العون بهـدف حل عقـدهم النفسـية . وبالفعل نجدهم يقرأون ، يستمعون إلى الموسيقى ويتشبسون ويهتمون بالحياة ويخرجون من الدار وقد تسرب إلى نفـوسهم شعاع من النور يحملهم على حب الحياة من جـديد أو على الأقل الاستسلام والرضـا بما كتب عليهم أن يعيشوا حتى يفارقوا الأرض ومن عليها .

ويكرر كاسونا الفكرة السابقة فى مسـرحية «الأشجار تموت واقفة» (*) التى تجرى أحداثها فى مقر مؤسسـة غريبة أنشأها الدكتور اربيل المذكور فى المسرحية السابقة بهدف بث السـلام والطمأنينة والسعادة فى نفوس الحائرين

(*) ترجمها وشفعها بمقدمة الأستاذ الدكتور / محمود على مكى . دار الكاتب العربى . وزارة الثقافة القاهرة ١٩٦٩ ، العدد ٦٥ من سلسلة مسرحيات عالمية .

القلقين المعذبين . هى ليست مستشفى لأمراض الجسد ولا مصحة نفسية ولا ملجأ للبر والإحسان ، بل هى مؤسسة مبتكرة يقوم المتطوعون فيها بالاتصال بمن تعذبهم مشكلة نفسية أو أزمة تؤدى بهم إلى اليأس أو الكفر بقيم الروح والخير أو من يرون الحياة سجناً ينبغى عليهم الفكاك من أغلاله . يشرح ما وريثيو مدير هذه الدار وذراع الدكتور اربيل الأيمن مبادئ مؤسسته قائلا : «هناك كثيرون يشتغلون بعلاج أمراض الجسد . ولكن هل فكر أحد فى أولئك الذين يموتون دون أن تشتمل حياتهم على ذكرى جميلة ؟ والذين لم يروا حلماً من أحلامهم تحقق ؟ والذين لم يشعروا ابداً بقشعريرة الإيمان أو رعشة الرهبة ازاء السر الغامض الذى يسرى فى أجسادهم ؟ .

ويقدم كاسونا نماذج لهؤلاء المتطوعين فها هو مهرج السيرك الذى يقضى وقته فى الحدائق العامة ليسعد بحيله وألعابه نفوس الأطفال الذين أهملهم آباؤهم وأمهاتهم واشتغلوا عنهم بأعمالهم وحفلاتهم ، أستاذ جامعى يستغل علمه ومواهبه فى أعمال متباينة بعيدا عن قاعات الدرس يؤدى بها خدمات انسانية فهو مرة يتقمص زى راهب بروتستانتى لكى يعيد نفحة من الإيمان إلى عانس اسكتلاندية عذبتها الشكوك وكادت تفقد الإيمان بالله وهو مرة أخرى بحار نرويجى يهرع إلى الميناء ومعه اكورديون ليستقبل مجموعة من الأطفال اليتامى القادمين من بحار الشمال بأغنية تذكرهم ببلادهم وتهز أنفسهم بشعور من الحنين ، وصياد يقوم بإطلاق الأرانب وكلاب الصيد لكى يلتقطها الصيادون الفقراء ، وشحاذ تخصص فى اتباع خطى النشالين الصغار لكى يسرق منهم ما أخذوه من جيوب الناس ، ثم تعود المسروقات إلى أصحابها ويتلقى اللصوص الصغار دعوة إلى الكف عن عملهم وتوجيههم إلى عمل شريف .

يصل إلى هذه الدار شخصان لكل منهما مشكلته : «مارتا ايسابيل» الفتاة الوحيدة التى طردت من عملها وترى أنها لا تصلح لشئ وكذلك

تفكر فى الانتحار و « بالبوا » ذلك الكهل الذى يعيش مع زوج طيبة وحيدين بعد أن قام بطرد حفيده الوحيد «ماوريشيو» من المنزل لأنه شاب فاسد الأخلاق حاول سرقة خزانة الجد . يهاجر الحفيد إلى كندا ويواصل حياة الرذيلة والإجرام . تعيش الجدة فى عذاب دائم وتموت فى بطء وعليه يلجأ بالبوا إلى كذبة بيضاء لكى يخفف من آلامها فيقوم بكتابة رسائل باسم حفيده إلى جديه يعلن فيها أنه تاب وتعلم الكثير فى الغربة ودرس فى الجامعة وحقق ثروة طائلة وتزوج من فتاة جميلة . يصل إلى الجدة رسالة حقيقية من الحفيد يخبرها فيها بأنه سيعود إلى بلاده على متن الباخرة ساتورنيا فيثلج هذا الخبر صدرها وتخبر زوجها وهى تكاد تجن ويتظاهر بالبوا بالفرحة وإن كان يحس بالقلق والذعر بداخله ، يتدخل القدر ليحل هذه المشكلة فيعلن فى الجرائد عن غرق لباخرة وموت كل من فيها . يهرع الجد إلى المؤسسة لكى يجدوا حلاً لهذه المشكلة لأن وقع الصدمة سيكون شديداً على الجدة إذا ما علمت بموت حفيدها . يتوصل ماوريشيو إلى أن يقوم هو بدور الحفيد وتقوم مارتا ايسابيل بدور زوجته ويصلان إلى منزل الجدة ويؤديان دورهما ببراعة واقتدار ويقضيان فى البيت أياماً يشيعان خلالها السعادة فى نفس العجوز . يصطنع ما وريشو برقية زائفة من كندا تخبره بضرورة العودة إلى هناك بأقصى سرعة وبالفعل يستعد هو وزوجته للسفر . ولكن تأتى الرياح بما لا يشتهى السفن . يعود الحفيد الحقيقى إلى منزل الجد لأنه لم يركب الباخرة التى غرقت ويطلب من الجد مبلغاً كبيرا من المال مقابل ألا يكشف الأمر لجدته . يحاول ماوريشيو اقناع الحفيد الحقيقى بالانصراف ولكنه لا يزال يصر على كل مطالبه ويمنح الجد وشريكته مهلة إلى اليوم التالى . يصل فى الموعد ويدور نقاش حاد بينه وبين الجد فتصل الجدة لترى ما يحدث ولا يتردد النذل فى أن يقول لها الحقيقة وأنه لا يزال مجرماً طريد العدالة . تتماسك الجدة وتواجه حفيدها

لأنها كانت قد عرفت الحقيقيـة فى الليلة السابقة وأنها ليست على استعداد للغفـران والعفو وتقـوم بطرده من المنزل بلا تردد . كانت الصدمـة شديدة قاسية ولكنها تقف على قدميها متماسكة ثابتة مثل الأشجار ينخر الموت فى داخلها ولكنها لا تموت إلا واقفة .

مسرحية الحورية الهارية :

عرضت أول مرة على مسرح «اسبـانيول» فى ١٧ مايو ١٩٣٤ وحققت كما ذكرنا نجاحاً جماهيـريا وأجمع النقاد على أنها من أفضل الأعمال التى قدمت على خشبة المسرح ويمكن أن نعزى هذا النجاح إلى عدة أسباب :

١ - اختـار كاسـونا طريق الخيـال الشعـرى واستطاع اخـضاع العـالم الوهمى للعالم الحقيقى .

٢ على الرغم من ذوق الجمهور المتواضع إلا أنه كـان متشبعاً من الفن الروتينى ووجد مع كاسونا العكس فى هذه المسـرحية .

٣ - المزج بين العناصر الحقيقية والخيالية والربط بين الحقيقة والحياة التى يبحث عنها الإنسان .

٤ - لاتنطلق المسرحية من الخطط الأيدلوجـية والفنية التي كانت سائدة فى تلك الفـترة ، ابتـعد كـاسـونا عن خط خاثنتـو بينابتى واخـتلف عن المجددين أمثـال خاثنتو جراو ، جومـيث دى لاسيرنا ، أثورين وبحث عن أكبر عدد من الجمهور مثلما فعل لوركا ورفائيل ألبرتى .

٥ - كان الجمـهور يعلم مقدما مـا سيشاهده ولكن مع كـاسونا حدث العكس تماماً حيث وجد موضوعاً جديداً رائعاً يختلف تماماً عن الموضوعات التافهة المبتذلة التى كان يقدمها كتاب المسرح التجارى .

٦ - لم يستخدم كاسونا فى هذه المسـرحية ألفاظاً متداولة ولا حوارات

اجتماعية تقليدية لأنه يزدرى الحقيقة الفظة التى هى مرآة لحياة الكثيرين من المشاهدين الأسبان .

٧ - قدمت هذه المسرحية موضوعاً جديداً لم يطرح من قبل على خشبة المسرح الأسبانى .

٨ - الخبرة التى اكتسبها كاسونا أثناء عمله مديراً «لمسرح الشعب» أوحت له بما ينقص الجمهور فعوضه فى مسرحيته .

تدور أحداث المسرحية فى الوقت الحالى فى منزل قديم بالقرب من شاطئ البحر . تبدأ أحداث الفصل الأول بوصول السيد فلورين ، طبيب وكاتم أسرار أسرة ريكاردو ، للسؤال عن بطل المسرحية ريكاردو . نعرف الكثير عن البطل أثناء حديث فلورين مع الخادم فمثلا هو شخص لا يولى اهتماماً كبيراً للزمن ، غريب الأطوار ، يرفض واقعه ويذهب إلى الصحراء لكى يؤجر هذا المنزل القديم لكى يؤسس فيه عالمه المستقل .

يظهر ريكاردو ومن خلال مناقشته مع فلورين نعرف خطته :

«أجد أن الحياة مملة وغبية بسبب نقص الخيال . عقل أكثر من اللازم وخيال أكثر من اللازم فى كل شئ . فكرت فى أنه يوجد فى أى ركن نصف دستة من الرجال المهمين ، الخياليين ولكنهم يتعفنون بين الآخرين لذا قررت أن أجمعهم فى منزلى أحراراً وفاقدى الصواب واختراع حياة جديدة والحلم بالمستحيلات ، كلهم معى فى هذا المنزل : ملجأ لأيتام الحس المشترك» ثم يضيف قائلاً «يختلف رجالنا عن الآخرين فهم غرباء الأطوار ورائعين وسنضع على بابنا لافتة تقول : ممنوع دخول من يعرف الهندسة» .

توضح هذه الكلمات أفكار ومثاليات المسرحية ، إنها كلمات جريئة جداً ترعب النفوس الجبانة والمتشددة فى فرض النظام ولكنها ليست مستحيلة التحقيق ولا تشكل خطورة لأنها لا تضايق ولا تهين أحداً ومن الممكن تقبلها لأنها صادرة من شاب لديه الكثير من الوقت والمال . ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل هدف البطل هو رفض الواقع أم إنه هروب لأنه لايستطيع مواجهه ما هو حيوى ؟ ربما يكون هذا انعكاسا لطفولة عاشها منغلقا فى منزل كانت الأم دائماً مشغولة والأب منهمكا فى تجارته وكتبه مما جعله يحسد الأطفال الطلقاء . يتكلم ريكاردو عن الحزن وخداع الحياة عندما يقول للسيد فلورين : « لا تعتقد حضرتك أننى اتصنع الآن شعوذة لكى أخفى ألما أو تمثيلية ، لا . أننى خائب الآمال ولكنى سعيد بوضعى هذا . (سعيدا) أن روحى الطفولية هى التى تبعث من جديد » .

يحاول فلورين اقناع ريكاردو أن يتخلى عن هذه الأفكار المجنونة ولكن دون جدوى ويخبره بأنه فى انتظار رئيس جمهوريته الأفلاطونية السيد سامى ، رجل رائع «مهرج» فى سيرك ، حالم وثمل ، سيأتى لكى يربيهم على الحياة الجديدة . تعرف ريكاردو عليه منذ عدة سنوات فى مرسيليا وهو فى رحلة إلى إيطاليا ألقت خلالها ابنته ماريا بنفسها فى البحر وأنقذها ريكاردو ولكنها ماتت بعد ذلك بعدة أيام على حد قول أبيها . يصل أيضاً «الشبح» مرتديا ملابسه البيضاء ولكنه يكشف عن هويته ، إنه رجل عادى كان يعمل بستانيا فى المنزل قبل أن يؤجره ريكاردو ولكى لايخرج منه جاءته فكرة أن يرتدى هذه الملابس البيضاء ويتجول فى الصالون وفى يده شعلة . تغضب هذه الحقائق ريكاردو ولكنه بسرعة يحاول أن يعطيه حياة جديدة ويوهمه أنه نابليون .

يظهر فى الشرفة ظل شخص فيعتقد ريكاردو أنه سامى ولكنها سيرينا ، فتاة غريبة ، شقراء ترتدى ملابس خضراء . يعجب ريكاردو بها ويقع فى حبها وتخبره هى بأنها جاءت من قاع البحر لتبحث عنه .

تبدأ أحداث الفصل الثانى بحوار بين الخادم والشبح ، يطلب هذا من الخادم أن يتوسط له لدى سيده لكى يعفيه من القيام بدور نابليون وأن يعود ليزرع الحديقة كما كان يفعل من قبل . تصل سيرينا وهى تمسك دانييل - رسام يضع على عينيه عصابة لأنه ملَّ من رؤية نفس الألوان ويريد أن يتخيل ألوانا جديدة مختلفة - من ذراعه ونعلم من كلامهما أن السيد فلورين يستعد للرحيل ويثلج هذا الخبر صدر سيرينا لأنها تهابه وتخاف منه بحجة أنه «عدو للحرية وللفنتازيا . وفى الليلة السابقة على سفره ، يحاول فلورين للمرة الأخيرة اقناع ريكاردو بالكف عن هذه الخزعبلات ولكن بطلنا يرى أن سيرينا هى « الفنتازيا والحرية» ولكن فلورين يؤكد له أنها ليست حورية بل امرأة عادية سلمت له روحها وأنه لا يعرف عنها شيئا ولكن ريكاردو يؤكد له أنه يحب فيها ما هو عجيب ومدهش وأنها أكذوبة لذيذة لست على استعداد أن أغيرها بأية حقيقة » أمام عناد وعمى ريكاردو لم يجد فلورين بداً من أن يخبره بأن سيرينا إن لم تكن ابنة سامى فهى امرأة أرسلها سامى نفسه لكى تسلب ارادته وثروته . أتت كلمات فلورين ثمارها فبدأ الشك يدب فى قلب ريكاردو فطلب بعدها مباشرة من سيرينا أن تخبره بحقيقة أمرها .

ريكاردو : لا تكلمينى بهذه الطريقة الآن . تعرفين أننى مغرم بخيالك وبكلماتك ولكن كل هذا لا يكفينى اليوم . إن هذه الحياة الاختيارية التى أوجدناها بدأت تصيبنى بالدوار .

سيرينا : لاافهمك .

ريكاردو : لو أننى أنظر إليك بنفس الطريقة التى نظرت إليك بها فى
أول يوم لكنت طلبت منك أكاذيب لكى أكون سعيدا معك ،
ولكنى أحبك يا سيرينا ، أحبك حبا حقيقياً .

تبكى سيرينا وتصر على أنها حورية خرجت من البحر وأنها ستعود إلي قاع البحر وإن كان ريكاردو يحبها فليتبعها . ويعتذر ريكاردو عن تصرفه الفظ . يصل سامى للبحث عن ابنته - لم تمت كما ادعى وتخيل أنها وصلت إلى منزل ريكاردو بعد أن قرأت خطابه الذى أرسله إلى والدها - تطلب سيرينا من ريكاردو أن يحميها لأنها لا تريد العودة مع والدها .

تجرى أحداث الفصل الثالث فى نفس المكان ولكن الاختلاف الوحيد هو أن النور المستخدم الآن أبيض خفيف حميم بدلاً من الألوان القوية المستخدمة فى الفصلين السابقين . ربما يريد كاسونا بهذا أن يجعلنا نعيش جواً واقعياً ويشير إلى العودة إلى الطبيعية البسيطة الخالية من التعقيدات لأنه كما سنرى تتخلى جميع الشخصيات عن الفنتازيا ويعودون إلى أرض الواقع لم يعد الشبح شبحاً بل عاد إلى حياته القديمة راعيا حديقة المنزل : «ما أعيشه الآن هو الحياة . . . الوضع يختلف الآن . شئ جميل أن أعود وارتدى ملابس عادية وأحس أننى أعيش حقا وأخرج مع ضوء الشمس » .

وفى الوقت الذي يبدو فيه أن فلورين قد انتصر وأنه فى طريقه لشفاء سيرينا من جنونها كى يستطيع ريكاردو أن يتزوجها ، يظهر بيبو صاحب السيرك سائلا عن سامى وابنته التى هى فى نفس الوقت عشيقته وقد توصل إلى هذا عن طريق استغلال جنونها من ناحية ولجبن وحاجة والدها. هكذا يقول سامى لفلورين عندما كان ينهره على تسليم ابنته لبيبو :

سامى : وهل كان يمكننى أن أقف ضده ؟ لم يكن حتى بوسعى أن
أنظر إليه . . .

فلورين : وإن لم تستطع أنت ، أليس هناك قانون ؟

سامى : أعلم ذلك ولكن كانوا سيودعونه السجن عدة أيام وأنا فى الشارع للأبد وسيرينا فى مستشفى المجانين . . . للأبد ! نعم هناك قانون .

يقترح فلورين على سامى ألا يتقابل ريكاردو ولا سيرينا مع بيبو لأنها لو رأته سيضيع كل ما عمله من أجل علاجها الذى جاء بناءا على رغبة ريكاردو الذى قاوم فى البداية ولكن حبه الشديد لها جعله يتنازل عن رأيه ويرضخ لرغبة الطبيب على أمل أن يعود لها العقل :

فلورين : حتى الأنوار لا يجب أن تكون خضراء أو حمراء ، هذا النور الأبيض . . . والشمس أفضل من أى شئ .

ريكاردو : كل ما تأمر به حضرتك .

فلورين : وإن كان من الممكن أن تعيش فى منزل آخر فى الجبل . . . منزل ، لأن هذا المنزل الملئ بالسحر يؤثر على أعصاب أى شخص .

ريكاردو : سنقوم بعمل كل ما هو ضرورى لكى نعيد إليها عقلها .

بهذه الكلمات يريد فلورين أن يثبت لريكاردو أن أى شئ غير طبيعى لاطائل منه وأن الواقع هو الذى ينتصر فى النهاية ويفرض نفسه . الآن ريكاردو هو الذى يبحث عن العقل لسرينا لكى تنخرط فى الحياة اليومية العادية وبالفعل تبدأ تدريجيا فى التماثل للشفاء ولكن تتحول السعادة إلى حزن بظهور بيبو الذى جاء لاستردادها أو بيعها إذا وجد من يدفع جيداً . يرفض ريكاردو عرض بيبو ويقوم بطرده من المنزل وقد يكون هذا الموقف غريبا بعض الشئ لأن بيبو لا يحب سيرينا وكل ما يريده أن يستغل هذا الموقف ويحصل على مبلغ كبير من المال وكما نعلم أن ريكاردو غنى جداً

وبوسعه أن يدفع له كل ما يريد ، ربما يعزو موقفه هذا إلى أنه يريد أن يبعد سيرينا عن ماضيها ، فقبل لقائه بقليل مع بيبو علم أن سيرينا تحمل بين أحشائها طفلا والآن تأكد له أن ليس من صلبه كما أخبرته هى بل من صلب كل الأوغاد الذين استفادوا من جنونها ،

وأمام فظاعة الأحداث وعدم تحرره من حبه ، يحاول ريكاردو أن يقنع سيرينا بالعودة إلى سابق حالتها ، أى أن تكون حورية ويقول لها أن فلورين والباقين يريدون خداعها ويعيدون وعيها لحياة وغدة وقذرة ويعرض عليها أن يعودا إلى البحر عندما تريد ولكن سيرينا ترفض كل عروضه ، غريزة الأمومة وجمال الابن فى الأحشاء جعلاها تقف صلبة أمام محاولاته وفى النهاية لم يجد ريكاردو بدأ من أن يقبل الواقع على الرغم من قسوته ومراراته ويخضع خيالاته للحقيقة الحتمية .

سيرينا : إنه الابن ، هل تفهم معنى ذلك ؟ إن لم يكن من أجله . . . لكنت ذهبت معك إلى المنزل الآخر ، هناك فى الجبل ، الملئ بالأشجار والهدوء . . . ليس هناك شئ . . . الدوار . . . (تميل رأسها على المقعد) ذلك النور . . . (تدور عينيها يطفئ ريكاردو النور) .

ريكاردو : نعم ، يجب أن نعالجها الآن على الرغم من أى شئ . (يعود إلى جانبها) نامى . (يقبل يديها بحنان شديد) ماريا . . . (ستار) . . .

" الحورية الهاربة "

شخصيات المسرحية

- Sirena	- سيرينا
- Samy	- سامى
- Recardo	- ريكاردو
- Don Florin	- دون فلورين
- El Fantasma Don Joaquin	- الشبح دون خواكين
- Daniel	- دانييل
- Pipo	- بيبو
- Pedrote	- بدروتى

الفصل الأول

تدور الأحداث فى منزل قديم به معالم غير واضحة لقصر ودير ولكنه مؤثث بطريقة حديثة ومريحة . توجد على الحوائط لوحات غير مكتملة الرسم تنتمى إلى فن حديث يتصل بالفنون البدائية . تختفى بين نبات الكاكتوس أنوار غير مباشرة خضراء وحمراء تعطى درجة مفرحة من درجات الفنتازيا . يوجد فى الركن الأيمن نافذة تتسلق عليها نباتات وسلم صغير . فى العمق ، قوس سميك مغطى بالزجاج يطل على البحر من ستارة ثقيلة وفى جزءه الأيسر يوجد باب صغير يدخل منه الشبح . أبواب جانبية عند أمامية خشبة المسرح . ليلا .

(يظهر دون فلورين عند النافذة الكبيرة . يدخل بدروتى حاملاً بعض المأكولات والمشروبات) .

بدروتى : الساعة الثانية فجراً ، من المستحيل أن تظل حضرتك هكذا دون أن تتناول على الأقل وجبة خفيفة .

فلورين : هل تعتقد أن ريكاردو سيتأخر أكثر من ذلك ؟

بدروتى : ومن يعرف ذلك ؟ إن سيدى يحيا حياة غير مرتبة بالمرة .

فلورين : هل من عادته أن يقضى الليل خارج المنزل ؟

بدروتى : الليالى ! إن سيدى لايعرف الفرق بين الليل والنهار لقد استيقظ اليوم الساعة السادسة مساءاً كعادته خرج دون أن يخبرنا إلى أين ومن المؤكد أنه سيطلب طعام الإفطار عند عودته . لاتقلق يا سيد فلورين ومن الأفضل أن تتناول لقمة وتنام إذا تأخر ريكاردو . لقد جهزت غرفة لحضرتك .

فلورين : حسنا ، سأتناول أى شئ ، اننى على استعداد لانتظاره .

بـــدروتـــى : لدينا زاد غـريب بعض الشـئ وبما إننا هنا بعـيـداً عن أية مدنية فليس من السهل الحصول على المؤن وسيدى لا يهتم كثيراً بمثل هذه الأشيـاء . الأسبوع الماضى كنا نتغذى على الروم وعيش البحر ، إنها من نوادره . (يقدم الأكل).

فـلـــوريـن : لقـد كان ريـكاردو دائماً شـاذاً ولكن آخـر نكاته تجـعلنى أعيش فى بحر الغموض . هل تعرف معنى أن ينقطع عن العالم ويعيش فى هذه الصحراء ؟

بـــدروتـــى : إنه مصاب بالملل لأنه شاب وغنى وكل الأمـور تسير معه على ما يرام وعليه لا يـعرف كيف يقضى وقتـه وكل فترة تجعله يقوم بعمل شئ غريب .

فـلـــوريـن : وأنت ، أليس أمامك سوى أن تسير على هواه ؟

بـــدروتـــى : أننى أحب سـيدى من كل قلبى وأينمـا يذهب هو يذهب بدروتى معه وها نحن هنا .

فـلـــوريـن : حسناً ، ولكن ماذا تفعلون ؟

بـــدروتـــى : لا شئ .

فـلـــوريـن : عجبا ! (بسخرية) المنزل رقيق جداً ، هل أجروه لكم بحالته هذه ؟

بـــدروتـــى : هيهات ! لقد كان منزلاً كبيرا مهـجوراً وقام سيدى بتأثيثه على ذوقه .

فـلـــوريـن : ولكنه لا يزال فى حاجـة إلى لمسة جمال . هل تعـيشون هنا وحدكما ؟ ألا توجد هنا أية سيدة ؟ . . .

بــدروتــى : (بغضب) اه ، سيـدات . . . لقد مر ذلك أيضـاً . نعيش الآن مع شبح ومنذ عـدة أيام جاء دون دانيـيل* ، رسام يسيـر دائماً معصوب العينين .

فـلــوريـن : هل قلت شبح ؟

بــدروتــى : أجل يا سيدى .

فـلــوريـن : ولكن كيف يكون ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

بــدروتــى : شـبح حقـيـقى من الذين تبـقوا لنا . لم نكـن نعرفـه ولكن صاحب المنزل أدرجه فى الـعقد وقد رأوه الجيـران فى الشرفة أكثر من مرة مع ضوء القمر . يهتم سيدى به كثيرا وأمرنى أن أقدم له الطعام كل ليلة . (يصغى ويذهب نحو النافذة) السيد ريكاردو ودون دانييل .

فـلــوريـن : حمداً لله .

بــدروتــى : لحظة ، سأفـتح الباب وأخبرهـما بوجودك . سيـسعد كثـيرا عندما يعرف أن حـضرتك هنا . (يخرج . يظهر بعد ذلك بقليل ومـعه ريكاردو ودانييل . ريكاردو شـاب يرتدى ملابس غيـر مرتبة ويظهر على نبـرات صوته طعم الحزن . دانييل ، نغمته واشاراته بطيئة ، يعصب عينيه ورأسه بارزة دائما.) .

(دون فلورين ، بدروتى ، ريكاردو ودانييل) .

ريـكـــاردو : عـزيزى الدكتـور ! (يجرى إلى ذراعيه) آه أيهـا العجوز ! لـقد استطعت أن تكتشف مكان هروبى .

فـلــوريـن : صدفة يا ريكاردو ، معرفة المكان والمجئ إلى هنا تم فى نفس الوقت .

ريـكـــاردو : هل تعلم أنه كان سراً ؟

فـلــوريـن : ولا حتى ذلك .

ريكاردو : هذا شئ يطمئن ، فهكذا لن تحكى حضرتك لأحد عنه . حسنا يا عزيزى من الواضح اننى لن أستطيع أن أتحرر من حضرتك أبداً . آه ، سأقوم بتقديم كل منكما للآخر ، دانييل روكا ، رسام عبقرى على الرغم من كبر سنه ، شخصية رائعة ، تعرفت عليه منذ أربعة أيام وأصبحنا أصدقاء مدى الحياة . دون فلورين نيسال ، طبيب وكاتم أسرار عائلتى ، شخصية عقلانية ومؤدبة جيداً ، ولكنه على الرغم من كل هذا شاب عظيم .

فلورين : أشكرك (إلى دانييل) سررت بمعرفتك ويمكننى أن أفيدك على ضوء ما أرى . . .

دانييل : أوه ، لا لحسن الحظ .

ريكاردو : ليس فى حاجة للطبيب . ليس ذلك ، إن ما حدث لدانيل أنه رسام جاد تعب من رؤية نفس الألوان فعصب عينيه لفترة لكى ينساها ويفكر فى ألوان أخرى جديدة . (إلى بدروتى) آمل أن تكون قمت بالواجب مع دون فلورين .

بدروتى : عملت كل ما كان بوسعى عمله . لقد قدمت له وجبة خفيفة فى حدود امكانياتنا . حاولت أن أسليه وجهزت له سريراً .

فلورين : السرير الذى سأنام عليه ، هل تعرف كم الساعة الآن ؟

ريكاردو : أبداً .

فلورين : ستدق الساعة الثالثة .

ريكاردو : صباحا أم مساءً ؟

فلــوريـن : صباحاً يا سيدى .

ريـكــاردو : حسنا ، احضر لى طعام الإفطار . واضح أن حضرتك سبقتنا . وأنت يا دانييل ؟

دانيـــــيل : لا ، سأنام حالاً .

ريـكــاردو : بالنسبة للشبح فكالعادة جبن وكوب لبن .

بــدروتــى: من المستحيل يا سيدى لأنه لا يوجد لبن منذ أمس .

ريـكــاردو : والعمل ؟

بــدروتــى : قدمت له أمس زجاجة روم وشرب نصفها تقريباً .

ريـكــاردو : رائع ، يبدو لى هذا شيئاً جميلاً فى شبح ساحلى . كرر له الروم ومعه بعض الزيتون (يخرج بدروتى . يجلس دانيل بعيداً عنهما ويبدأ فى تصفح مجلة دون أن ينزع العصابة . يتمدد.) والآن عنفنى ما شئت يا دكتور ، أنا تحت أمرك .

فلــوريـن : أعنفك ؟ لماذا ؟ لا تفزعنى غرابة أطوارك وقدرك عندى يغفر لك أشياء كثيرة تفعلها . جئت فقط لكى أستريح أسبوعاً معك إن لم يكن يضايقك ذلك ولكى أبلغك تحيات أسرتك .

ريـكــاردو : حقا ، فلم أكن أتذكر أنه لا يزال لى أقارب . كيف حال عمتى أجيدا ؟ هل لا تزال تقوم بعمل اليانصيب الخيرى وتحتضن اللقطاء ؟ إنها امرأة طيبة ! وابنة عمى ، خوليتا ؟

فلــوريـن : تتذكرك دائماً ولا تزال تعتقد أنها خطيبتك .

ريـكــاردو : حتى الآن ! هذا شئ لا يصدق . لقد خطبها لى والدها وهى صغيرة ولكنى لم أعتقد أبداً أن ذلك سيصل إلى هذه الدرجة .

فلورين : شئ حساس جداً ! أؤكد لك أن العمة أجيدا مرتاعة منك : «استحلفك بالله يا دون فلورين أن تحضر ابن أخى ، عار العائلة ، إلى المنزل » .

ريكاردو : وهل هذا هو سبب مجئ حضرتك ؟

فلورين : لا ، لقد قلت لك أننى جئت لأسترح عدة أيام لا أكثر .

ريكاردو : (يهدأ) آه !

فلورين : وأعرف أخبارك . لقد أخبرونى أن لديك مشروعات كبيرة . هل يمكننى معرفتها ؟

ريكاردو : أوه !

فلورين : إلام ترمى ؟ ماذ ستفعل هنا ؟

ريكاردو : إنه شئ معقد . سأقوم مبدئياً بتأسيس جمهورية .

فلورين : شئ أفلاطونى جداً .

ريكاردو : جمهورية لرجال وحيدين لا يوجد بها حس مشترك .

فلورين : رائع ! ولكن كم يوماً ستستمر ؟

ريكاردو : للأبد .

فلورين : إنه شئ زائد عن الحد ، ستستمر بضعة أيام .

ريكاردو : إننى لا أمزح . أجد أن الحياة مملة وغبية بسبب نقص الخيال . عقل أكثر من اللازم ونظام أكثر من اللازم فى كل شئ . فكرت أنه يوجد فى أى ركن نصف دستة من الرجال المهمين الخياليين وبلا دلالة ويتعففون بين الآخرين ، لذا قررت أن أجمعهم فى منزلى أحراراً وفاقدى الصواب واختراع حياة جديدة والحلم بالمستحيلات . وكلهم معى فى هذا المنزل : ملجأ لأيتام الحس المشترك .

فلورين : برنامج جيد سأقترحه على عمتك أجيداً . وهل تعتقد أنك ستجد هؤلاء الرجال ؟

ريكاردو : سنرى . (يشير إلى دانييل) بصورة مؤقتة ها نحن اثنين وكنت وحدى منذ علة أيام . ما رأى حضرتك ؟ هذا الرجل القادر على أن يعيش فى ظلام لأنه ملئٌ من الألوان ، إنه واحد من رجالى .

فلورين : ذلك الرجل . . . ولكن ماذا يعمل ؟

دانييل : لا شئ ، كنت أتصفح هذه المجلة ولكنى لم أجد بها شيئاً مهماً . (يتركها ويشعل سيجارة) .

فلورين : (يصبح فى حالة خطيرة) حسبما أرى إنك تأخذ الموضوع مأخذ الجد . .

ريكاردو : خيال ، كما قلت لحضرتك . كنت أكلمه عن مشاريعنا ، هل تعرف ذلك يا دانييل ؟ ولكن لا تخف فهذا الرجل المنطقى لن يكون فى دولتنا .

فلورين : أنا ، فليحررنى الله منها !

ريكاردو : يختلف رجالنا عن الآخرين فهم غرباء الأطوار ورائعين وسنضع على بابنا لافتة تقول : «ممنوع دخول من يعرف الهندسة» .

فلورين : رائع ، لقد حلت كل مشاكل العالم ! يروق لى أن أرى كيف يمكن إيجاد حياة مبنية تماماً على الخيال .

ريكاردو : شئ بسيط جداً . . . بالنسبة لنا ومستحيل بالنسبة لحضرتك .

مثلاً ، هل ترى حضرتك تلك الشجرة الموجودة هناك ؟

فلورين : (بسذاجة) أين ؟

ريكاردو : (يشير إلى منتصف خشبة المسرح) هناك .

فلورين : ولكن يا ريكاردو .

ريكاردو : نعم أنا أراها وهنا يكمن الفرق بيننا . وأنت يا دانييل هل تراها ؟

دانييل : شجرة سنديان رائعة :

فلورين : (يستنشق بصوت مسموع) هيهات (يغضب ثانية) وهذا هو ما جئت لتفعله هنا ، هل هذه هي المشاريع العظيمة ؟ دعك من هذا ولا تكن طفلا .

ريكاردو : طفل ! ماذ تريد أكثر من ذلك ! (يبدو عليه الحزن للحظة) ولكن ليس كما كنت أنا ! (يفيق) لن نتكلم عن هذا الموضوع . (إلى بدروتي الذي يدخل حاملاً طعام الإفطار) خذ بالك من الشجرة يا بدروتي .

بدروتي : (يتوقف) لم آخذ بالي (يلف لفة لكي يصل إليهم) القهوة .

فلورين : (إلى بدروتي) وأنت أيضاً مثلهما ؟

ريكاردو : (يضحك) لا تغضب فكلنا هنا على هذا الحال .

فلورين : أغضب ؟ هيهات ! لو كان أحد غيرك لأعتقدت أنني في مستشفى المجانين ولكنني أعرفك جيداً : مزاح لعدة أيام وبعدها ستمل . ضعف الأعصاب .

ريكاردو : نفترض أنه ضعف أعصاب . القهوة يا بدروتي العظيم . هل أعددت العشاء للسيد الشبح ؟

بـــدروتـــى : نعم يا سيدى .

ريــكـــاردو : هل قلت لحضرتك أن لدينا شبحاً هنا ؟ أجرته مع المنزل ولكنه لا يعمل . ربما يكون هكذا أفضل لأن أشباح الأقاليم .

فـلـــوريـن : كفى يا ريكاردو لأننى لا أعتقـد فى مثل هذه الأشياء ولا تبدو لى دعابة مستحبة .

ريــكـــاردو : ولا ذاك ! أرى يا سـيدى أنه سـيتـهى بى المطاف إلى إلقـاء حـضـرتك من النافـذة على الرغم مـن كل الحب الذى أكنه لحضرتك يا جدى ! .

دانيــــــيل : (ينهض) دون فلورين .

فـلـــوريـن : هل ستنصرف حضرتك ؟

دانيــــــيل : أعذر ريكاردو فإنه طاغية . سنتكلم غداً بهدوء . أحياء .

فـلـــوريـن : (يمد له يده) أحياء . تصبح على خير .

دانيــــــيل : تصبح على خير يا ريكاردو (يخرج ويده فى يد بدروتى) . (دون فلورين ،ريكاردو وبدروتى للحظة) .

فـلـــوريـن : ولكن هذا الرجل . . .

ريــكـــاردو : دعه فإنه يروق له عمل هذا ، فعندما تضـايقه العصابة سيقوم بفكها .

فـلـــوريـن : الوحيد الذى سيفهمكم هو الشيطان .

ريــكـــاردو : (بعد وقفة) قل لى يا دون فلورين ، هل تعتقد أن ما كنت أفعله من قبل أفضل من هذا ؟

فـلـــوريـن : أى شئ ؟

ريــكـــاردو : حياتى السابقة وسنوات طفولتى . . . منزل والدى .

فـلــوريــن : (دون أن يدرى بما يقول) لقد كان منزل والدك مكاناً نبيلاً .

ريـكـــاردو : نعم ولكنه كان حـزيناً جداً . أتذكر والـدتى التى كانت كظل صارم يملؤها الورع والخـوف من جهنم . لم تكن تتكلم أبداً ، لم تكن تعرف تقبل . ووالدى المنهمك دائماً فى أعماله وكتبه ، كان جافاً ومتسلطاً . لم يستطع أن يلعب دوراً فى ذلك المنزل . عشت حياتى وحيداً كـما لو كنت فى سجن ، أنظر باكيا إلى الأطفال الطلقاء فى الشوارع .

فـلــوريــن : (متأثراً) ريكاردو . . .

ريـكـــاردو : وبعد كل هذا ، ذلك العالم بلذاته وآلامه . . . المملة جداً (رد فعل) حسنا ، لا تعتقد حـضرتك أننى أتصنع الآن شعوذة لكى أخفى ألما أو تمثيلية ، لا . إننى خائب الآمال ولكنى سـعيد بوضعى هذا . (سعيداً.) إن روحى الطفولية هى التى تبعث من جديد .

فـلــوريــن : ومع ذلك فإن منزل والدك . . .

ريـكـــاردو : أشياء ميتة يا دون فلورين ، دعنا من الحديث عنها . (إلى بدروتى الذى يعبر خشبة المسرح) احضر لى بدلة التشريفات يا بدروتى .

فـلــوريــن : بدلة التشريفة ! (يخرج بدروتى) .

ريـكـــاردو : عندنا حـفل استقـبال هذه الليلة حـيث سيـصل رئيس دولتنا الأفلاطونية إذا أردت حضرتك أن تسلم عليه . . .

فـلــوريــن : الشئ الوحـيد الذى سـأفعله الآن هو التـوجه إلى سـريرى . الرئيس أكيد سيكون شخصية . . .

ريـكـــاردو : رائع ، إنه «مهـرج» فى سيرك يعرف الإنجـيل والنجوم . ألا تتذكر حضرتك . . . منذ عـدة سنوات عندما كنا فى مرسيليا وركب معنا ذلك المهرج السفينة للذهاب إلى إيطاليا ؟

فلـــوريــن : سامى ؟

ريـكـــاردو : الوالد سامى بعينه . كتبت له رسالة حـدثته فيها عن مشاريعنا ودعوته لكى يأتى اليوم . . . وبالتأكيد لن يجعلنا ننتظر .

فلـــوريــن : شيطان سامى . وماذا سيفعل هنا عديم الفائدة هذا ؟

ريـكـــاردو : لكى يرينا على الحياة الجـديدة . تخيل حضرتك : رجل بلا عقل ، حـالم وثمل إنه الرئيس المثالى بالنسـبة لنا (يدخل بدروتى ومعه بدلة "مهرج") شكراً (يخرج بدروتى) وابنتـه ، هل تتذكـرها حضرتك ؟

فلـــوريــن : تقريباً ، لقد حدث ذلك منذ عدة سنوات.

ريـكـــاردو : فتاة غريبة ، عيناها خضروان . . .

فلـــوريــن : أجل ، التى ألقت بنفسها فى البحر ذات ليلة .

ريـكـــاردو : وقعت وقـمت بانتشالهـا من الماء وهى نصف غرقـانة وبعدها قامت بتقبيل يدى واعتبرتنـى منقذها ألا تتذكر حضرتك ؟ فتاة مسكينة ماتت فى نـفس السنة وكانت صدمة كبـيرة للمسكين سامى . (سعيدا) نهـايــة الأمـر . . . (يضع القبعة ويغنى) . «الفتاة . . .» (يحول) هس ! الشبح ! .

(دون فلورين ، ريكاردو الشيخ) .

برزانة وبطء يعبر الشبح خشبة المسرح فى بدلته البيضاء ويخرج من الناحية المقابلة .

فلـــوريــن : كيف ! ما هذه الدعابة يا ريكاردو ؟

ريـكـــاردو : هُس ! طاب مساؤك يا سيد شبـح . هل ستخرج حضرتك ؟ انتظر واجلس لحظة .

الشـــبح : (برزانة وتشامخ) إنسان بائس !

ريكـاردو : (بسعادة إلى دون فلورين) هل سمعت حضرتك ؟ شئ رائع ، شبح من المدرسة القديمة . (إلى الشبح) مبروك يا عزيزى ياله من صوت رائع . يتكلم عن خلود الروح ! (يعطس الشبح ويتزوى عند النافذ الكبيرة) لا تخف فهذا السيد صديقى . ألا تريد الجلوس ؟

الشـــبح : إنسان بائس!! . . . (يعطس مرتين متاليتين ويفقد النغمة.) هذه النافذة ، أغلقها من فضلك .

ريكـاردو : حالا . (يغلق النافذة) تعال واجلس ولا تكن طفلا ، حضرتك هائج جداً . (يمسكه من ذراعه إلى أن يصل عند أحد الكراسى) هكذا.

فلورين : كفى يا ريكاردو . هل هذه هى تسليتك ؟ سأذهب إلي السرير بسببك .

ريكـاردو : فكر حضرتك يا دون فلورين إنك أمام الأُخرى ! ماذا سيقول هذا السيد !

فلورين : (غاضبا) فليذهب إلي حيث تعوى الذئاب !

ريكـاردو : إلزم مكانك ! هذا شئ لا يجب أن يُمس . (إلى الشبح) تكلم حضرتك وأفهم هذا الجاحد .

فلورين : أليست هذه دعابة من دعابتك ؟

ريكـاردو : أقسم لحضرتك .

فلورين : إذن ما معنى هذا ؟ تكلم

الشـــــبح : (خائفا) أنا . . . وماذا أستطيع أن أقول بعد هذه العطسة ؟
فـلــوريـن : من تكون حضرتك ؟ وماذا تفعل هنا ؟
الشـــــبح : أنا الذى أسـأل : من أنا ؟ ومـاذ أفـعل هـنا ؟ لأنه ليس من الممكن أن أكون شـبحاً حـقيقـياً . . . اسمى خـواكين وأقسم لحضراتكم أننى لا أجرؤ حتى على قتل ذبابة .
ريـكــاردو : (غاضبا) ماذا تقول ؟ هل من الممكن ألا تكون شبحاً حقيقياً ؟
فـلــوريـن : دعه . هيا واشرح لنا .
الشـــــبح : لست أدرى كيف استطعت تحـمل كل هذه الأيام . يا للسعادة التى كانت تغمرنى فى هذا المنزل من قبل !
فـلــوريـن : هيا وتكلام بدون مراوغة .
الشـــــبح : اعذرنى فإن رأسى مجنونة . أنا ضعيف جداً (اشارة تدل على عدم الصبر) جئت إلى هذا المنزل منذ أربع سنوات ، لم يكن مـؤجرا ولكى لا يأخـذه منى أحـد خطر على بالى أن أرتدى هذه الملابـس البيـضاء وأتجول فى الصالون حامـلاً شعلة ولكن ببـراءة شـديدة . مـاذا كنت أعـرف فى ذاك الوقت عن هذه الأشياء ! كنت أزرع الكرنب فى البـستان ، وكانت تحت يدى مكتبة رائعة . . . بصفة خاصة الكرنب . يا للجمال !
ريـكــاردو : أوه ، اسكت ، يا للاشـمـئـزاز ! وأنا الذى كـنت أنتظر من حضرتك الكثيرمن الخيال !
فـلــوريـن : استمر .
الشـــــبح : كنت أسعد الأشباح ولكن جاء هؤلاء السادة ومن بعدها بدأت المحن . كـان يجب علىّ أن أقدم لهم نـفسى وعليـه لم يكن أمامى سـوى أن أتأهل للقيام بالمهـمة فبـدأت فى قراءة الكتب

الخاصة بموضوع الأشباح . يا لها من كتب ، يا إلهى ! كان شعرى يقف وأنا أقرأها ! ويبدأ وزنى يقل وأرى ظلالاً فى كل مكان وأخاف حتى من نفسى . كان الليل مرعباً وأمس . . . لم يكن كابوساً ، كان البيت يتحرك ويلف وكانت الحوائط ترتمى عليَّ . أقسم أنه لم يكن كابوساً !

فلورين : لقد شربت أمس نصف زجاجة روم .

الشبح : أجل ؟ عجباً على الرغم من الضرر الذى يحدث لى . . واليوم . . ؟

فلورين : واليوم ستحتسى النصف الآخر ، لقد أصبحت حضرتك بلوى .

الشبح : على أية حال . . . يوجد سر فى هذا المنزل . لن أخاطر وأعيش فيه ولا حتى ليلة واحدة .

ريكاردو : يا للخزى ! حضرتك شبح درجة ثالثة دون أدنى كرامة !

الشبح : معذرة ، لقد عانيت كثيرا . منذ خمسة عشر يوماً وأنا أعيش فى غرفة المهملات ، فى صندوق أمريكى ، فضلاً عن أنى لا آكل تقريباً لأنى أعيش على اللبن منذ أن جئتم حضراتكم إلى هنا .

ريكاردو : اسكت !

الشبح : سيدى ، أنا . . .

ريكاردو : حضرتك لا تصلح لتحريك شمعدان خشبى بثلاثة قوائم !

فلورين : هيا ، لايجب أن تظل هكذا .

الشبح : دعه يؤنبنى فهذا حقه وحق حضرتك أيضاً ولكن لا تتركونى .

ريكاردو : وإن تركنا حضرتك ؟ وإن تركناك وحدك فى هذا المنزل مع

كل الظلال . . ؟

الشـــــبح : لا ، استحلفك بالله ! حضـراتكـم لا تفهمون مأساتى . . . (خوف يصاحب كلماته) والآن ، من يقـول أننى لـست شبـحـاً حقيقياً ؟

ريـكـــاردو : ماذا

الشـــــبح : من ذا الذى يقـول لى أننى لم أمت منذ علة عـصور وأن هذه دقيقة من خلودى ، أليس كذلك ؟

ريـكـــاردو : نعم ، هذا ليس شيئاً سيئاً .

الشـــــبح : أوه ، قل لى لا : إن الشك شئ مرعب . . .

ريـكـــاردو : (قاس، بعد أن يتروى.) مما لا شك فيه أن حضرتك ميت

الشـــــبح : ميت !

ريـكـــاردو : تماماً .

الشـــــبح : مستحيل . . . إن كنت أتنفس . . . إن كنت أدعى خواكين . . .

ريـكـــاردو : أوهام . ميت منذ مئة عام . حضرتك . . . نابليون . فلنر ، ضع يدك هكذا . . . هكذا . حسناً ، نابليون .

الشـــــبح : (كصدى صوت حزين) ميت ! . . .

ريـكـــاردو : آه ! وهنا الاشياء الجـادة : أما أن حضرتك مـيت حقاً أم أننى سأقتلك الآن بحيث تبـدأ من جديد وتنسى الكرنب . سترى كيف سنجعل من حضرتك شبحاً محترماً . (ينادى) بدروتى !

فـلـوريـن : ولكن يا ريكاردو

ريـكـــاردو : اهدأ ، كفانا هذه الليلة . (إلى الشبح) أحلام سعيدة .

الشـــــبح : نابليون

ريـكـــاردو : (إلى بدروتى الذى دخل لتوه) صاحب هذا السيـد ، إنه شبح البيت .

ضع له طعام العشاء واجعله ينام معك هذه الليلة . هيا (يخرج بدروتى والشبح) خذ بالك من الشجرة يا جنرال . (يتوقف الشبح ويلف ، يفرك ريكاردو يديه بسعادة) هذا شئ يشجع . هل رأيت حضرتك ؟ ها هو شخص آخر خارج الهندسة . لقد أصبحنا ثلاثة .

فلورين : إن هذه الأفكار ستقضى عليك . هل يبدو لك شيئاً ظريفاً ما فعلته مع هذا الرجل المسكين ؟

ريكاردو : ليس هناك أى ظرف : حاولت أن أعطيه حياة جديدة رائعة ، هذا هو كل الموضوع .

فلورين : ولكن ، رأيت وجهه الحزين ؟ إنه على استعداد أن يموت من الفزع . هيا ، تعقل قليلا ودعك من هذه الحماقات .

بدروتى : (يعود) يوجد ظل يتسلق هذه الشرفة يا سيدى .

ريكاردو : يتسلق ؟ (تلذذ) رقم أربعة يا سيد فلورين ، الوالد سامى هنا !

فلورين : شخص آخر ويدخل من النافذة . لا يا بنى ، كفى . تصبح على خير .

بدروتى : من هذا (يخرج دون فلورين وبدروتى) .

ريكاردو : (يضحك . يعود بعد ذلك إلى الشرفة) الأب سامى !

(ريكاردو وسيرينا) .

سيرينا : (بصيحة للبلة) دك !

ريكاردو : ماذا !

سيرينا : دك ! (تجرى نحوه وتقبله) .

ريكاردو : آنسة . . .

سيرينا : أخيراً وجدتك ! كم من الوقت مضى ! جعلتك تنتظر كثيرا ،

أليس كذلك ؟ لم يكن الـذنب ذنبى ، كانوا يستـعجلوننى ، هل تعرف ذلك ؟ وأنت بعيد جداً ! ألا تريد أن تقبلنى يا دك ؟

ريكـــاردو : آسف . . . إننى مندهش . . . لا أتذكر . . .

سـيـــرينا : وأنا أيضـاً . لقد مـرت سنوات كثـيرة ! ولكنك كنت تحـبنى والآن نحن معاً . ألا تريد أن تقبلنى يا دك ؟

ريكـــاردو : (بعد تردد) لا . انتظرى . . . من الأفضل هذا الوضع .

سـيـــرينا : (حزينة) لن تقبلنى (سعيدة مرة اخرى) آه ، لأننى تأخرت كـثيراً ، أليس كذلك ؟ الذنب ليس ذنبى لأنهم رفضوا أن يدلونى على مكانك ولكن وأنت ؟ من قال لك أنـنى سأصل اليوم ؟ فيـما يبـدو انك كنت فى انتظارى . فكرة رائعـة منك زرع نبـاتات متسلقة فى الشـرفة لكى اتسلق عليها . وهذا المنزل ؟ هل هو منزلنا ؟ إنه أسود جداً يا ريكاردو ويروق لى أن يكون أزرق ، كما أنه كـبير على شخـصين يجب أن نقص كل ما هو زائد . . . لا ، معذرة ، إن كنـت تفضله هكذا . . . منزلنا (عند النافـذة) البحر ! لماذا يـكون البحر بـعيداً جـداً عن هنا ؟ لن يدخل البيت أبداً . سـترى ، سنحركـه غداً قليلاً تجاه البـحر فلتدخل الشـمـس والبحـر فيه وهمـا يصيحـان ! وستكون لنا شرفة مليئة بالنباتات (تعود إلى جانبه) ماذا تقول يا ريكاردو ؟ إنك لا تتكلم ، لا تقول لى شيئاً . . (بخوف) ألـست أنت يا ريكاردو ؟

ريكـــاردو : نعم . . . أنا ريكاردو (يمسك ذراعيها) وأنت ؟ من أنت ؟

سـيـــرينا : أنا ! (تفتش عن نفسها) أنا حورية .

ريكـــاردو : ومن جاء بك إلى هنا ؟ ما اسمك ؟

سـيـــرينا : اسمى سيرينا (تبتعد عنه) آه ! تريد أن تخدعنى ، تريد أن تقول

إنك لا تعرفني لكى تسخر منى . ولكن لا تخدعنى يا دك .
إنك تحبنى ، عيناك كبيرتان . هل تعتقد فيَّ حقا ؟

ريكاردو : نعم . . . ولكن إن كنت حورية ، كيف يمكن أن تكونى هنا ؟ هل تأتين من البحر الآن ؟

سيرينا : لا ، الآن آتى من أواسط البحر . جريت كثيراً ، ساعات كثيرة. كنت أخشى أن يطاردونى . أنا منهكة .

ريكاردو : ومن وصف لك طريق منزلنا ؟

سيرينا : تريد أن تخدعنى . أنت نفسك الذى قلته لى . هل تعتقد أننى لم آخذ بالى ؟ لقد كتبته لكى أعرفه أنا وبعد معرفتى جريت إلى هنا وها أنت ترى أنه لم يكن ممكنا أن أصل قبل ذلك . ولكنى منهكة . أين غرفتنا ؟ يروق لى أن أنام .

ريكاردو : انتظرى ، لا تذهبى .

سيرينا : ماذا تريد ؟

ريكاردو : اقسمى أنك حورية .

سيرينا : (تضحك) ألا تعرف ذلك ؟

ريكاردو : تشدو الحوريات بأغان تعمى الصيادين والبحارة هل تعرفينها ؟

سيرينا : أجل .

ريكاردو : فلتغنيها إذن .

سيرينا : لا أستطيع وأنا خائرة القوى . (تذهب نحو النافذة) أوشك الفجر على البزوغ وضوء النهار يتعبنى كثيراً .

ريكاردو : انتظرى .

سيرينا : أريد أن أنام .

ريكاردو : الان اشدو لى هذه الأغنية .

سـيـــرينا : وإذا أصبت بالعمى يا ريكاردو ؟

ريـكـــاردو : غنها لى

سـيـــرينا : لا أتذكرها فـمنذ وقت طويل وأنا أعيش فى الأرض ، ولكنى أحس بها هنا فى صدرى ترفرف كالعلم . اين غرفتنا يا دك ؟

ريـكـــاردو : تلك ولكن لا تذهبى لأننى لن أنام اليوم .

سـيـــرينا : يا لقسوتك ! (تجلس)

ريـكـــاردو : أريد أن أعرف تلك الأغنية .

سـيـــرينا : ستعـرفها عندما نعود أنا وأنت إلى الـبحر . هل تريد أن تنام الآن على حجرى ؟

ريـكـــاردو : نعم ولكن إن غنيت .

سـيـــرينا : فلتنم . (يسند ريكاردو رأسه على حجرها . لحظة صـمت تبدأ بعدها سيرينا الغناء وتغير صوتها) .

حبيبى لى كفرط المرجان
الذى يستريح فوق صدرى
كنت أنام وقلبى يسهر
وناداني صوت حبيبى :
حبك جميل يا زوجتى
وحلو كخمر الخثيات
وقبلاتك لها طعم الملح .

ريـكـــاردو : (قلقا) سيرينا !

سـيـــرينا : أصبح حبيبى مركبا من خشب لبنان
مجاديفه من الفضة
وخطاطيفه من الحب .

يرعى حبيبى فى نبات الأينمون
وقطيعه من الدلافين
يتزين بصنانير صوته .

ريكاردو : سيرينا !

سيرينا : حبيبى لى وأناله
ناداني صوت حبيبى:
«انهضى يا جميلتى ! يا صديقتى ،
فقد طلع الصبح فى البحر !. . .»
وجلست تحت ظل حبيبى
وفوقى علمه المكون من الحب !

ريكاردو : (مسحورا) سيرينا ! سيرينا سولاميتا ! (يقبلها)

سيرينا : (تنهض، تغير هيئتها بتلذذ) أخيراً قبلتنى يا ريكاردو . هل سيقولون الآن أننى أحلم ؟ هل سيقولون أنك لا تحبنى ؟ قبلتنى ! يا نصيرى !

ريكاردو : ماذا تقولين ؟ (يتقدم نحوها)

سيرينا : دعنى ، لا تسترد منى الآن قبلتك . إنها ملكى !

ريكاردو : لا ! لا تذهبى ، أريد الآن أن أعرفك . من أنت !

سيرينا : (بصيحة رعب) لا تلمسنى ! (تحول) لا تضربنى أنت أيضاً اعذرنى فأنا مستسلمة . (يظهر النور عند النافذة) انظر ، سطع ضوء النهار . . . تصبح على خير .

ستار

الفصل الثانى

تدور الأحداث فى نفس المكان بعد مرور فترة من الزمن . ليلا . يوجد بدروتى وحده وبعد قليل يدخل الشبح فى صمت مرتديا زى نابليون .

[بدروتى والشبح]

الشـــــبح : بدروتى .

بـــدروتـــى : ماذا ! كيف تكون هنا حضرتك ؟

الشـــــبح : اعذرنى ، يضايقنى كثيراً أن أظل فوق وحدي .

بـــدروتـــى : ولكن سيدى منع حضرتك من الخروج من الحجرة قبل منتصف الليل ولايزال الوقت مبكراً .

الشـــــبح : أعرف ذلك ولكن لا يوجد أحد الآن .

بـــدروتـــى : ولكن يمكن أن يصلوا فى أية لحظة .

الشـــــبح : سنحس بهم .

بـــدروتـــى : لا ، استحلفك بالله ! هكذا تعرضنى للإحراج والخطر .

الشـــــبح : لحظة واحدة لا أكثر . سأصاب بالجنون من بقائى فوق وحدى . هل تعلم ماذا يعنى لى وأنا فى هذا العمر التفكير في أننى مت فى جزيرة وأن أقضى الليالى أتكلم عن خلود الروح ؟ إنه شئ فظيع .

بـــدروتـــى : ستتعلم مهنة جديدة .

الشـــــبح : انظر يا بدروتى ، أعتقد أن سيدك معتوه .

بـــدروتـــى : معتوه ! يقال شاذ .

الشـــــبح : وأنتم أيضاً لأنكم تسيرون على هواه . إنكم تقتلونى .

بـــدروتـــى : لن يكون الذنب ذنبى .

الشـــــــبح : ولكن يا سيدى ، لماذا لا نترك الموسيـقى ونعيش كما ينبغى أن يكون ؟ آه ، إن كنت تريـد أن توصـينى على سـيـرينا فـإن ريكاردو لا يستطيع أن يرفض لها طلبا .

بـــدروتـــى : ولكن ، هل من الممكن أن حـضرتك لست قانـعاً بحظك ؟ هل هناك عمل مريح عن عمل حضرتك ؟

الشـــــــبح : لا تعتقد ذلك ، عـملى فكرى أكثر من اللازم ، يمكننى عمل أى شئ آخر بصورة أفضل ، مثلا البستان مهمل جداً . . . لو أن سيدى يدعنى أعمل بستـانيا . . . لمذا لا تعرض عليه هذه الفكرة ؟

بـــدروتـــى : ليته يقبل !

الشـــــــبح : من يدرى ، حاول .

بـــدروتـــى : لا أستطيع أن أكلمه فى هذا الموضوع .

الشـــــــبح : يمكن إصلاح كل شئ . سأزرع حوضاً من القـوقحان واسقيه ليلا . يناسبنى كثيرا استخدام الفأس ليلا ، أليس كذلك ؟

بـــدروتـــى : لا أجرؤ . . . حضرتك نابليون .

الشـــــــبح : استحلفك بأغلى شئ تحبـه ألا تردد هذا الكلام لأننى أدعى خواكين .

بـــدروتـــى : ولكنك هنا نابليون لأن سـيدى ليس لديه أدنى استعـداد لتقبل أى شئ آخـر . وتفـضل واصـعـد ، أرجـوك تخـيل أنهم سيصلون الآن .

الشـــــــبح : أنت شاب ممتاز يا بدروتى . . .

بــدروتــى : استحلفك بالله يا جنرالى .

الشـــــبح : دون خــواكين ، نادنى دون خــواكين . أنت متـأثر جـداً وإذا أردت . . .

بــدروتــى : (بحذر) اسكت . . . لقد وصلوا !

الشـــــبح : هم بالفعل !

بــدروتــى : إنهم يصعدون . هيا إلى الصندوق !

الشـــــبح : ذاهب (يتوقف) لا تنسى يا بدروتى .

بــدروتــى : سأعمل كل ما بوسعى .

الشـــــبح : كمـا تعلم إننى وحدى فى الطابق العلـوى ، إذا استطعت أن تجئ لقضاء بعض الوقت معى . . .

بــدروتــى : سأجئ ولكن اخرج بسرعة .

الشـــــبح : (عند الباب) وإذا أمكنك إحضار كوتشينة . . .

بــدروتــى : هُس ! (يخرج الشبح) .

(بدروتى ، سيرينا ودانييل)

ســيـــرينا : (تمسك دانييل من يده) هنا . (إلى بدروتى) ألم يصـل ريكاردو ؟

بــدروتــى : لم يصل حتى الآن ولكنه لن يتـأخر ، خرج مع دون فلورين ويريد دون فلورين أن ينام مبكراً .

ســيـــرينا : هل سيسافر غداً ؟

بــدروتــى : حقائبه جاهزة .

ســيـــرينا : هذا شئ حسن ! هل سـمعت يا دانييل ؟ سـيرحل . (يخرج بدروتى) .

دانيــــيل : أراك سعيدة ، أليس كذلك ؟

ســيــرينا : نعم ، رحيله شئ يسعدنى ، أنا سعيدة جداً .

دانيــــيل : ماذا فعل لك دون فلورين ؟ هل تحقدين عليه ؟

ســيــرينا : (تحول) حقد ! لا ! لماذا ؟ ولكننى لا أشعر براحة فى وجوده ، إنه يخيفنى . عيناه صغيرتان .

دانيــــيل : دون فلورين رجل طيب .

ســيــرينا : نعم رجل طيب فـضـلا عن أنه يحب ريكاردو كـثيـرا . هل أحقـد عليه ؟ لست أدرى . . . ولكن عندمـا يكون أمامى لا أجرؤ على الكلام معه أو النظر إليه . عيناه صغيرتان يا دانييل . ليـست مثل عينى ريكاردو وعينيك . . .

دانيــــيل : عيناى ! وهل تعرفين شيئا عن عينى .

ســيــرينا : كبيرتان ، زرقاوان . . . وهل يمكن أن يكونا غير ذلك ؟ أليس كذلك ؟

دانيــــيل : (بعد تردد وحيرة) نعم .

ســيــرينا : ألست معى ؟ يعـرف لون العين من الصوت . لماذا تغطيهـما دائماً بالعصابة ؟ وتتـرك رؤية النجوم وعيون الآخرين ! (وقفة) ما هو آخر شئ رأيته ؟

دانيــــيل : (ببطء) انفجار غـاز المناجم . لا تزال محفورة فى ذاكـرتى تماماً صورة النيران ، التمزقات والصرخات .

ســيــرينا : اوه ! (تغطى وجهها بيديها.)

دانيــــيل : تغلقين عينيك ، أليس كذلك ؟ وأنا أيضاً أغلقتهما منذ ذلك اليوم .

ســيــرينا : ولماذا تعيش مع هذه الصورة يا دانييل ؟ هناك أشـياء كثيرة . جـميلة فى عـالمنا . . . انظر الآن إلى الـبحـر . لماذا لا تنزع

العصابة لحظة ؟ لحظة واحدة .

دانيـــيل : لا .

سـيـــرينا : دون أن تنزعها ، ارفعها لبرهة لا أكثر .

دانيـــيل : لا .

سـيـــرينا : ألا تريد أن ترى البحر ؟

دانيـــيل : انني أعرفه . أتذكره .

سـيـــرينا : ولكنك لا تعرفني . (تلعب الى جواره) وهلا تريد أن تعرفني أنا ؟

دانيـــيل : واعرفك أيضاً .

سـيـــرينا : أوه ! تعرفني ! تعرفني ! . . . كيف أكون ؟

دانيـــيل : زرقاء

سـيـــرينا : (مندهشة) زرقاء ! (تضحك)

دانيـــيل : كلك زرقاء وضحكتك بيضاء .

سـيـــرينا : (تضحك اكثر) بيضاء وزرقاء ! أنا بيضاء وزرقاء!

دانيـــيل : مظاهر البحر .

سـيـــرينا : (تكف عن الضحك وتظل صامتة لحظة) آه يا دانييل ، اعذرني ، اعتقدت أنك قلت شيئاً مضحكاً وعليه ضحكت .

دانيـــيل : (مبتسما) أشكرك يا سيرينا . (وقفة) هل تريدين أن ترافقيني الآن حتى الشرفة ؟

سـيـــرينا : (شاردة) مظاهر البحر .

دانيـــيل : سيرينا .

سـيـريـنا : ماذا ؟

دانيـيـل : كنت أريد الذهـاب إلي الشـرفـة . هل يروق لـك أن تبـقى وحدك ؟

سـيـريـنا : لا ، سآتي معك . (تأخذه من ذراعه.) بيضاء وزرقاء . (ترى ريكاردو وهو يدخل) ذلك ؟ (تجرى للقائه ولكنها تكف عن الجرى عند رؤيتها للدون فلورين) .

[الشخصيات السابقة وريكاردو ودون فلورين]

ريـكـاردو : سيـرينا ، آه ، لا تريدين أن تفاجئـينا أبداً . كنا ننتظرك هناك في البحر بين الزبد . هل لا تعومين الآن ؟

سـيـريـنا : كنت مع دانييل . . . وكنا سنخرج حالاً .

ريـكـاردو : في الوقت الذى جئنا نحن فيه ؟

سـيـريـنا : هنا فقط ، في الشرفة ولكن إذا أمرتنى بالبقاء . . .

ريـكـاردو : لا ، لا ، لا أستطيع أن آمرك . تفضلى (تخرج سيرينا ودانييل) .

[ريكاردو ودون فلورين]

ريـكـاردو : تهرب سيرينا لأن حضرتك هنا ، إنها تخاف منك .

فـلـوريـن : ومع ذلك فأنا لا أبادلها نفس الشعور .

ريـكـاردو : لا يهم . تكهنت أن حضـرتك عدو للحرية وللخـيال . وفي هذه الحال عـدو شخـصى لأن سيـرينا هى الحرية والخـيال . بعينهما ألا تريد أن تبقى حضرتك بعض الوقت ؟

فـلـوريـن : يجب أن أستيقظ غداً مـبكراً ولكن سأبقى إن كنت ستكلمنى عن سيرينا . (يجلس) من تكون هذه المرأة يا ريكاردو ؟

ريكاردو : إنها ليست امرأة يا عزيزى ، إنها حورية .

فلورين : دعك من هذه الحكايات . لم يعد يهمنى ما تقوله هى وماتصر عليه أنت . أريد الحقيقة .

ريكاردو : الحقيقة ! لن تتغير أبداً ! (يهز كتفيه).

فلورين : من الممكن أنك لا تعرفها ؟

ريكاردو : لماذا ؟

فلورين : من الممكن أن يكون فى منزلك امرأة سلمت لها جسدك وروحك ولا تعرف عنها شيئاً على الإطلاق ؟

ريكاردو : وأى شئ أريد أن أعرفه أكثر ؟ إنها لى ، إنها حورية ، إنها الخيال كله . هل يمكن أن أطلب أكثر من ذلك ؟

فلورين : أكثر وأكثر ، كل ما ينقص وإن كنت لا تطلبه فهذا يعنى أنك خائف .

ريكاردو : خوف ؟

فلورين : لا تريد أن تلعب بأحاسيسك يا ريكاردو . إنك ولهان بسيرينا هل ستخفى ذلك عنى ؟

ريكاردو : نفترض أننى لا أنكره ، وماذا يوجد فى ذلك ؟

فلورين : الحب يحتاج دائماً إلى الحقيقة .

ريكاردو : ولكن حبى أنا لا يحتاجها فأنا أحب فى سيرينا ما هو عجيب ومدهش.

فلورين : هذا ما حدث فى بادئ الأمر ولكنك؛ فتنت بها أكثر من اللازم . اليوم تحبها كامرأة ذات لحم وعظم ، تحبها بكل روحك وبكل أحاسيسك ويخيفك أن تحبها على حالتها هذه

لأنك لا تعرفها . من تكون سيرينا ؟ لا تعرف أى شئ .

ريكـــاردو : ولا يهمنى أن أعرف .

فـلــوريـن : كلام ، ولكن مشاعرك ستهزمك ويومها ستود أن تعرف . ما أريده لك أن الشئ الذى ستجده فى ذلك الوقت يكون جديراً بدرجة حبك لها يا ريكاردو .

ريكـــاردو : أشكرك يا دون فلورين ولكن سـيرينا هى أكـذوبة لذيذة لست على استعداد أن أغيرها بأية حقيقة .

فـلــوريـن : وإن كانت شخصية عادية مغامرة تحاول اغوائك ؟

ريكـــاردو : استحلف حضرتك بالله . . .

فـلــوريـن : وإن كان لا يوجـد أى شئ تحت ثوبها الأسطورى ؟ وإن كنت تبحث عنها ولا تجد إلا فراغا ؟

ريكـــاردو : اوه ! أنها المرة الأولى التى أجد حضرتك تفقد صوابك . يبدو أنك ستكون فى نهاية المطاف من رجالنا .

فـلــوريـن : حسنا ، حـسنا ، لن نتكلم فى هذا الموضـوع ثانية . أنت لا تريد أن تعرفـها أمـا أنا فعكسك تماماً . لا أسـتطيع أن أتكلم معها تقـريباً ، فكما ترى إنها تتهـرب منى وتختفى ، ولكنى عرفت شيئاً وما ينقصنى معرفته سأكتشفه قريباً .

ريكـــاردو : إن كان هذا يسلى حـضرتك . . . (يطلق إشـارة تدل على عدم مبالاته ويشعل سيجارة . وقفة) .

فـلــوريـن : لماذا لا تأتى معى يا ريكـاردو ؟ دعك من هذا فلا يزال الوقت أمامك لكى تتخلص منه .

ريكاردو : أعود إلى المدينة ؟
فلورين : لك عائلة .
ريكاردو : آه ، نعم ، عمتى أجيدا . . . وقططها البيضاء بأناشيطها .
فلورين : ولكن العالم ليس فقط هذه الأشياء ! مشاريعك الفنية . . .
(يرفض ريكارد و بالإشارة) أسفارك . . .
ريكاردو : لا شئ ، لا تتعبنى .
فلورين : فى النهاية . . . أتركك وأنا أتألم يا ريكاردو ولكنى لا أتفاءل لك بأى شئ طيب فى هذا المنزل المسحور حيث الأشباح فى الصناديق ورجال يفضلون العمى لكى لا يروا الألوان وحوريات تدخل من النوافذ . أخشى كثيرا عليك لأنك تخاطر بأفضل شئ فى روحك من أجل لعبة خطيرة . (وقفة) .
ريكاردو : وهل حضرتك مصمم على الرحيل ؟
فلورين : لا أستطيع أن أظل هنا أكثر من ذلك .
ريكاردو : يؤسفنى ان حضرتك ستذهب دون أن ترى الأب سامى .
فلورين : آه ، نعم ، «مهرج» السيرك . (بتعمد) والد تلك الفتاة التى وقعت فى البحر .
ريكاردو : هو نفسه .
فلورين : . . . والتى ماتت بعد وقوعها بفترة قليلة .
ريكاردو : ولماذا تتكلم حضرتك بهذه النغمة ؟
فلورين : لا ، لا شئ .
ريكاردو : يثير غرابتى تأخره فقد كنت انتظره نفس الليلة التى وصلت فيها حضرتك.

فلورين : ونفس الليلة التى وصلت فيها سيرينا أيضاً .

ريكاردو : أيضاً .

فلورين : تذكرت . (مائل إلى التفكير والتأمل) يا للصدفة ، كنت تنتظر «مهرج» سيرك وتدخل حورية «متسلقة» نباتات الشرفة .

ريكاردو : لا أرى صدفة فى هذا .

فلورين : أقصد بذلك موضوع التسلق لأنه من مهارة السيرك .

ريكاردو : والبحر .

فلورين : والبحر بالطبع . على أية حال ، سيكون شيئا عجيباً البحث عن علاقة بين هذين الشيئين : تخيل حورية وملربة فى سيرك .

ريكاردو : آه يا دون فلورين ! حضرتك لا تعتقد فى هذه الأشياء ! تصر كثيرا على البحث عن تفسيرات تافهة لكل الأشياء الجميلة .

فلورين : شكراً . ولكن اسمع ، ألم تقل لك سيرينا أغنية . . . ؟

ريكاردو : «نشيد الأناشيد» !

فلورين : وسامى رجل السيرك ، ألم يكن قارئا متعصباً للأنجيل ؟

ريكاردو : إلام ترمى ؟

فلورين : ألم تخرج أنت ابنته من البحر ؟

ريكاردو : (عصبيا ، يمسكه من ذراعه) إن ابنة سامى ماتت يا دون فلورين !

فلورين : وإن كانت ماتت . أليس هو بقادر على أن يعلّم امرأة أخرى لكى يتسلى ؟ أو لشئ أسوأ من ذلك وهو أن يمد شباكه لسلب إرادتك وثروتك . آه لو تتخلى قليلاً عن أفكارك .

ريكاردو : أوه لا ! ياله من شئ فظ الذى تفكر فيه حضرتك ! لا أعتقد أنها حيلة من سامى ، فسيرينا ليست مغامرة بمقابل . لا تصنع الحب لأنها بالفعل تحبنى ! كيف يمكن أن تفكر

حضرتك فى شئ آخر ؟

فـلــوريـن : وهل كانت تحبك اليوم الأول الذى رأتك فيه ؟ ولماذا اختفت ؟ أى نوع من النساء هذه التى تصل ليـلا مختفية وتسلم نفـسها لمجهول ؟

ريـكــاردو : (بعنف) اسكت !

فـلــوريـن : حـسنا يا ريكاردو . لن تكون هناك فـائدة من الكلام فى هذا الموضوع أكثر من هذا وليس أمـامى سوى أن أسافر غداً ولكن آمل أن تتـصل بى قـريبـاً . والآن هل تـريد أن تـسمع منى نصيحة أخيرة ؟

ريـكــاردو : (بصورة قاطعة) لا .

فـلــوريـن : (ينهض) تصبح على خير يا ريكاردو . (يبدأ فى الخروج من المشهد) .

ريـكــاردو : دون فلورين !

فـلــوريـن : هل ستتكلم ! أيها الشاب ؟ قل لى .

ريـكــاردو : لا . . . لا شئ . . . تصبح على خير (يدخل دون فلورين فى الوقت الذى تدخل فيه سيرينا) .

[دون فلورين ، ريكاردو وسيرينا]

فـلــوريـن : لم أكن أتوقع أن أسعـد برؤية حضـرتك قبل سفـرى يا آنسة سيرينا يبدو أن حـضرتك كنت تتهربين منى . . . (تتمتم سيرينا بكلمـات اعتـذار ورأسـهـا منحنيـة) هل تريدين أن تمدى لى يدك ؟ ستقابل ولكن لست أدرى كأصـدقاء أم كأعداء . . . على كل حال . . . من القلب . . . (يقبل يدها ويخرج . تنظر إليه سيرينا وتهرع تجاه ريكاردو) .

[سيرينا وريكاردو]

سيرينا : سيسافر غداً هذا الرجل ، أليس كذلك ؟ عم كنتما تتكلمان يا دك ؟ إنك حزين . (تجلس تحت قدميه وتمسك يديه) هل جعلك تعانى دون فلورين ؟

ريكاردو : (يطوق رقبتها بذراعه ويبتسم.) لا يا سيرينا فلون فلورين صديق مخلص . دعك منه .

سيرينا : يخيفنى لأنه يريد أن يحدث بنا مكروه ، يسخر منا بعينيه الصغيرتين . ماذا قال لك ؟

ريكاردو : لا شئ . تفاهات . ماذا تنتظرين أن يقول لك شخص عاقل ؟

سيرينا : ولكنك حزين . ماذا قال لك ؟ فيم تفكر ؟

ريكاردو : أفكر فيك يا سيرينا .

سيرينا : وهل التفكير فىّ يجعلك حزينا ؟

ريكاردو : أحياناً .

سيرينا : لماذا ؟ لم تقل لى هذا من قبل .

ريكاردو : (وقفة . ينظر إلى عينيها .) هل تحبينى يا سيرينا ؟ هل تحبينى . . . حقا ؟

سيرينا : (مندهشة.) نعم أحبك ! وهل حدث ما يدل على عدم حبى لك ؟ لماذا تطرح هذا السؤال ؟

ريكاردو : لا شئ ، لا تحفلى بكلامى .

سيرينا : هل قال لك دون فلورين إننى لا أحبك ؟

ريكاردو : لن نتكلم ثانية فى هذا الموضوع ! اين كنت اليوم ؟

سيرينا : ذهبت إلى الجبل مع دانييل . بعيد جداً . . . للدرجة أننى لم

أكد أرى البحر ولكن بما أن المنظر كان أخضر . . .

ريكاردو : ألا يعجبك الجبل ؟

سيرينا : نعم يعجبنى .

ريكاردو : وما هو الحال إذا ذهبنا لنعيش هناك ؟

سيرينا : وحدنا ؟

ريكاردو : نعم وحدنا .

سيرينا : أقبل إذا تحقق هذا الشرط ، ولكن لماذا تريد أن نعيش فى الجبل ؟

ريكاردو : أخاف من البحر لأنه يجذبك بشدة . أفكر أنه سيروق لك أن تعودى إليه فى أى يوم وتتركينى .

سيرينا : أتركك ! عندما أعود إلى البحر سنذهب سويا . هلا تحبنى ؟ نعم سويا . إنها حياة أخرى ، زرقاء جداً وأفضل من حياة الجبل . سترى ألا تريد أن تأتى معى ؟

ريكاردو : لست أدرى .

سيرينا : ألا تصدقنى ؟

ريكاردو : نعم أصدقك .

سيرينا : ستأتى إذن . هل تستطيع أن تفعل غير ذلك ؟ إن قاع البحر مثل الجبل يا دك ، مثل الجبل والسماء هناك أقل انخفاضا . سترى مدى السعادة التى سنعيشها هناك ! سيكون لنا منزلاً من أقصى القاع بأصص فى النوافذ وبرج دلافين . وستخرج فى الليالى الصافية لرؤية السفن التى تبحر أعلى وتطحن النجوم بمراوحها . هلا تأتى معى يا ريكاردو ؟

ريكاردو : (باندفاع مفاجئ) أين تعلمت مثل هذا الكلام ؟
سيرينا : ريكاردو !
ريكاردو : أين ؟
سيرينا : لا تنظر إلى بهذه الطريقة . . . تبدو شخصاً آخر .
ريكاردو : من أنت يا سيرينا ؟ (يمسكها من ذراعها.) من أنت ؟
سيرينا : إنك تلحق بى ضرراً . دعنى . (تتخلص منه وتذهب لتجلس بعيداً.)
ريكاردو : (بعد تردد، يذهب إلى جوارها.) اسمعى .
سيرينا : لقد ألحقت بى ضرراً .
ريكاردو : معذرة فلم أكن أقصد .
سيرينا : ولماذا كنت تنظر لى بتلك الطريقة ؟ فتلك العينان لم تكونا عينيك . . . ولماذا تسألنى عن هذه الأشياء ؟
ريكاردو : لأننى أريد أن أعرفك .
سيرينا : ولكنك تعرفنى . ألم تكن تعرفنى من قبل ؟ ألم تكن فى انتظارى عندما جئت .
ريكاردو : أجل ، أعتقد أننى عرفتك ذات مرة ولكن أين ؟ متى ؟
سيرينا : فى البحر .
ريكاردو : لا ، لا تكلمينى بهذه الطريقة الآن . تعرفين أننى مغرم بخيالك وبكلماتك ولكن كل هذا لا يكفينى اليوم . إن هذه الحياة الاختيارية التى أوجدناها بدأت تصيبنى بالدوار .
سيرينا : لا أفهمك .
ريكاردو : لو أننى أنظر إليك اليوم بنفس الطريقة التى نظرت إليك بها فى أول يوم لكنت طلبت منك أكاذيب لكى أكون سعيداً معك ،

ولكننى أحبك يا سيرينا . إننى أحبك حباً حقيقياً .

سـيـرينا : حبا حقيقيا ! واضح . وهل يمكن أن نحب بطريقة أخرى ؟

ريـكـاردو : كما كنت أحبك من قبل وكما كنت تحبيننى أنت .

سـيـرينا : ولكننى أحببتك دائماً حبا حقيقياً يا ريكاردو .

ريـكـاردو : دعينا من هذا الكلام الآن . ربما نتكلم فيه بعد ذلك ، غداً ... ولكن اسمحى لى أن أطلب منك الآن حقيقة .

سـيـرينا : قل .

ريـكـاردو : من جاء بك إلى هنا ؟ (صمت) ألا تريدين الإجابة على سؤالى ؟

سـيـرينا : لا تجعلنى أعانى ...

ريـكـاردو : ولكن ، ألا ترين أننى أيضاً أعانى ؟ أحببتك فى البداية لأنك كنت حلما والآن يخيفنى أن أفكر أنك بالفعل مجرد حلم وأن النور سيبددك . ولكنى أحبك . أحبك بطريقة لم أكن أتخيل أن أحب بها أحداً ، بكل جوارحى ! ولكن ، من أنت ؟ من أنت حقيقة ؟

سـيـرينا : أنا بيضاء وزرقاء .

ريـكـاردو : أوه ! تريدين أن أصاب بالجنون .

سـيـرينا : استمر يا ريكاردو الآخر فيما كنت تقوله من قبل .

ريـكـاردو : لا تصيبينى باليأس . تريدين أن تخفى عنى المرأة ذات الروح واللحم الموجودة بداخلك .

سـيـرينا : إنك تعرفها . كل ما لى من روح ولحم أعطيته لك .

ريـكـاردو : صحيح ولكن ، لماذا ؟ لماذا منذ أول يوم ؟

سـيـرينا : لأننى كنت مدينة لك به .

ريـكـاردو : (محموما) كذب ! من ذا الذى تطيعينه ؟ ضعى فى اعتبارك لآخر مرة أننى اعطيتك أفضل ما فى روحى ! فكرى أنه من الممكن أن تكونى أما لابن لى .

سـيـرينا : ابن ! حسنا يا ريكاردو ! أخضر ومر ابنى . . .

ريـكـاردو : (يائسا) إه ، كفاك تمثيل ! كل شئ فيك ملك لى وسرك معى . (يمسكها بعنف) تكلمى !

سـيـرينا : (خائفة) ريكاردو !

ريـكـاردو : لن أتنازل عن معرفة الحقيقة ولن أقبل لحظة غموض ! من أنت !

سـيـرينا : (مرتعبة) لا تضربنى !

ريـكـاردو : سيرينا

سـيـرينا : لا تضربنى .

ريـكـاردو : اوه ، إنه شئ زائد عن الحد ! (يبعدها عنه . تبكى سيرينا فى صمت وهى منهكة.) من ذا الذى ضربك ؟ لماذا كل هذا الخوف البهيمى عديم المعنى ؟ شئ زائد عن الحد ! (يتمشى مزمزماً.) .

سـيـرينا : (يبطء) لقد ضربتنى يا ريكاردو على الرغم من أن عينيك كبيرتين إلا أنك . . . ضربتنى أيضاً . لماذ طلبت منى أن آتى إلى هنا إذا لم تكن تحبنى كثيراً ؟ (تضع ذراعيها على هيئة سلة حمل الأطفال بدون وعى .) آه ، ابن طيب بعينين كبيرتين كشرائح الشمس (تهدهد) ابن من ريكاردو . . لِّى . (تمد ذراعيها بحزن) ابن ريكاردو ، ابن !

ريكاردو : (بجانبها) سيرينا !
سيرينا : هكذا بين ذراعى . . . طفل ، طفل . . . !
ريكاردو : ولكن أيتها المرأة المجنونة . . .
سيرينا : حبنى كثيراً يا دك . انظر إلىّ .
ريكاردو : أحبك يا سيرينا ، أحبك بكل روحى .
سيرينا : هكذا ! ردده مرات ومرات ، قله مرة أخرى !
ريكاردو : لا تبكى يا سيرينا ! لقد كنت فظا .
سيرينا : قل إنك تحبنى .
ريكاردو : سامحينى .
سيرينا : قل إنك تحبنى .
ريكاردو : (ينظر إليها بحنان ويقبلها.) أحبك .
سيرينا : اشكرك يا دك والآن دعنى لأننى لا أريد أن ترانى وأنا أبكى .
ريكاردو : ولكن لا تذهبى ، انتظرى .
سيرينا : لا ، لا يروق لى أن ترانى هكذا .
ريكاردو : اسمعى .
سيرينا : لا تنظر إلى ، لا أريد أن ترانى . (تخرج)
ريكاردو : سيرينا ! (يدخل الشبح ، وديعاً ويده على صدره) .
الشبح : تحية نجمية أيها الإنسان ! لقد دقت الساعة الثانية عشر تك . . . تك .
ريكاردو : (يعده دون أن ينظر إليه) سيرينا (يخرج خلفها) .
الشبح : حسنا ، ليس هناك عمل هذه الليلة . (ينادى) بلدروتى ! (يدخل بلدروتى ويعده سامى اللى يرتدى بدلة سيرك زرقاء ومعطفاً صغيراً وقبعة بيضاء

مضحكة .)

[بدروتى ، سامى والشبح وبعد ذلك ريكاردو]

بـــدروتـــى : تفضل حضـرتك واجلس هنا لحظة حتى أبحث عنه . (يخرج إلى المكان الموجود به ريكاردو .) .

الشـــــبح : يبدو أنه سـيكون هناك عمل هذه الليلة . (يجلس سامى على كرسى فى وضع تأملى وساقيه مضمومتين . وقفة) جنود : يتأملون قدركم من قمة تلك الأهرامات على مدى أربعين قرنا !

ســـــامـى : (طبيعيا) طاب مساؤك .

الشـــــبح : لم أحدث تأثيرا . (يقترب) هل ستعتـقد حضرتك أنك تتكلم الآن مع نابليـون ؟ وأننى مت فى جـزيرة ؟ نعم ، نعم . . . هذا ما يقولونه ولكن الحقـيقة أننى أدعى دون خواكين ، هكذا كما تسمع ، كيف الحال ؟ . . .(يضع يده على كتف سامى) أجبنـى يا صديقى .

ســـــامـى : (تحية ميكانيكية من فرط الدهشة.) طاب مـساؤك . (يعود إلى صمته) .

الشـــــبح : عرفت الآن أن حـضرتك السيـد سامى ! لا يمكن أن تـتـخيل مدى قلة الصبر التى ينتظرك بها ريكاردو . لقد علمت منه أن حضرتك إنسان فرح وفاقد الصواب وكلنا هنا فاقدى الصواب تماماً . كلنا . عجباً ، عجـباً ، السيد سامى . . . وأنا أيضاً كنت فى انتظار حـضـرتك بفارغ الصـبـر ، أخبـرنى السيـد ريكاردو أن حضرتك ستعلمنى الـشقلبة الخلفية . . . لأنه يرى أننى أقوم بعمل الشـقلبة الأمامية . . . أشيـاء خاصة به . إنه إنسـان عظيم ، أليس كذلك ؟ (يلاحظ أن سامى لا يعيره أدنى اهتمام .)

جرانيت ! (يدخل ريكاردو.)

ريكاردو : (حادا) سامى !

سامى : ريكاردو

الشبح : جنود : من أعلى تلك الأهرامات . . . !

ريكاردو : اخرج (يخرج الشبح) من تكون هذه المرأة ؟

سامى : هل هى هنا ؟

ريكاردو : من تكون ؟

سامى : سلمنى إياها ، إنها ابنتى .

ريكاردو : (غاضبا) إنه شئ قبيح ما تقوله يا سامى . فكر جيداً . . . لقد ماتت ابنتك .

سامى : هل قلت لك أنها ماتت ؟ ربما . . . فأنا أقوله لكل الناس . . . وفى الواقع هى فى حكم الميتة . . . ولكنى أحبها . سلمنى إياها !

ريكاردو : هكذا بوجه مكشوف ! ماذا تريد منى ؟

سامى : لا شئ . أريد سيرينا .

ريكاردو : محاولة غير مجدية .

سامى : إنها ابنتى !

ريكاردو : أنت تكذب !

سامى : أقسم لك يا ريكاردو أنها ابنتى !

ريكاردو : ولماذ أرسلتها إلى هنا ؟ إلام كنت ترمى ؟

سامى : أنا ! وماذا كنت أعرف أنا ؟ لقد كنت أبحث عنها طوال الأيام

الماضية اعتـقدت أنها ألقت بنفسها فى البحـر مثل المرة السابقة . . . عندما أنقذتها أنت ، هل تتـذكر ؟ لم يكن وقوعاً ، لا . . . ومنذ ذلك الحين وهى تتذكرك فى كل ساعة . . .

ريكـــاردو : سامى ! انظر إلّى جيداً . . . ألا تخدعنى ؟

ســـــامـى : وما الداعى لكى أكذب عليك ؟ لقد هربت من المنزل فى نفس اليوم الذى وصـلنى فيه خطابـك . لقد قرأته أنا بنـفسى ومع ذلك لم أشك أنهـا جاءت للبحث عنك حـتى هذه اللحظة . اليوم بدأت أشك أنها هنا . فالمسكينة . . تتذكرك بحنين شديد ! إنها ولهانة بحبك ، أليس كذلك ؟

ريكـــاردو : لا يهم إن كنت تكذب أو أنهـا تحـبنى حقـاً ، هذا لا يهم ، ولكنها ملكى . . . أننى أحبها ! هل تسـمعنى أيها العجوز ؟ وغصبا عن تمثيلياتكم فإنها تجرى فى عروقى مجرى الدم وأنت تعرف ذلك ، والآن اغرب !

ســـــامـى : سملنى إياها .

ريكـــاردو : لا !

ســـــامـى : ريكاردو !

ريكـــاردو : كفى ! إننى أحبها وأنا الأقوى !

ســـــامـى : لا يمكن أن تحبها فـأنت لـست بقبيح . . . (بصوت اجش، ينظر إلى عينيه) ألم تلاحظ عليها شيئاً يا ريكاردو ؟ . . . سيرينا مجنونة .

ريكـــاردو : مجنونة ، ماذ تقول ؟

ســـــامـى : نعم مـجنونة منذ ذلك الوقت الـذى رأيتهـا فـيـه ولكننى لم أكتشف ذلك إلا بعد أن افترقنا .

ريكـــاردو : مستحيل !

ســــــامـى : السبب الذى جـعلها تلقى بنفسهــا فى البحر هو اعتــقادها بأن أخواتها ينادونها من هناك ومن يومــها لا تفكر إلا فى البحر . البحر وأنت بصفة دائمة .

ريكـــاردو : (يخفى وجهه بين ذراعيه) ربى !

[ريكاردو ، سامى وسيرينا]

ســيــــرينا : (تجرى إلى حضن سامى) ابى سامى !

ســــــامـى : ابنتى !

ســيــــرينا : أخيراً اكـتشفت مكانى ! آه لو كان من الممكــن محو الطرق ! ولكنك لم تأت لكى تأخــذنى ، أليس كــذلك ؟ (إلى ريكاردو) هل جاء لــيأخذنى ؟ اوه ، لا تقــبل هذا يا دك ! (تمد له ذراعيها يتراجع ريكاردو عن غير وعى) ريكاردو ! (يتراجع اكثر) ريكاردو (حزينة) ما هذا ؟ هل أنت السـبب فيما يحدث يا والدى ؟ أنت ؟ ماذا قلت له ؟ (ممزقة ، تحضن ركبتيه) لا تصدق . . . إنه كذب ! كذب !

ستـــار

الفصل الثالث

نفس المكان . نور خفيف أبيض حميم بدلا من الألوان القوية المستخدمة فى الفصلين السابقين .

يظهر دون فلورين ودانييل وبدروتى . يمشى دون فلورين قلقاً . يجلس دانييل وحده وعينيه معصوبتين .

فلورين : هذا ما كنت أخشاه . كل شئ كان يسير على ما يرام . ألم يقل لك هذا الرجل ما اسمه ؟

بدروتى : لا يا سيدى

فلورين : ولم تستطع معرفة السبب الذى يجعله يسأل بهذا الاهتمام ؟

بدروتى : لا . أكيد أنه يعرف الكثير عن السيد سامى وابنته ، أما عن ريكاردو فلا يعرف شيئاً ولا حتى اسمه .

فلورين : شئ غريب هل أخبرت سامى بما حدث ؟

بدروتى : نعم يا سيدى .

فلورين : وماذا كان رد فعله ؟

بدروتى : أصبح لونه شاحباً وبدا لى أنه يرتعد وبعد ذلك أراد أن يعرف عنه كل شئ : أين كان ، أوصافه ، طريقة ارتدائه للملابس . . .

فلورين : من الضرورى أن أرى سامى حالاً . هل يوجد هنا فى المنزل ؟

بدروتى : نعم يا سيدى

فلورين : استدعه . فليحضر هنا الآن .

بدروتى : فى الحال (يخرج . يدخل الشبح ويعبر خشبة المسرح لكى يخرج من الناحية الأخرى . يرتدى بدلة قديمة واسعة مثل الأطفال الذين يرتدون بدل والديهم بعد رفأ ما بلى منها.)

[دون فلورين ، دانييل والشبح]

الشـــــبح : طاب مساؤك . طاب مساؤك يا سيد دانييل .

فـلــوريــن : إلى البستان مرة أخرى ، أليس كذلك ؟

الشـــــبح : مرة أخـرى ودائماً . آه لو كنت تنتظر حضـرتك وترى كيف سيصـبح بستانا جـميلاً فى وقت قليل ! لقد قـمت بإصلاح الحظيـرة للدجاج وحقل الـكرنب أصبح آية فى الجـمال . . . والزهور . . . متعة .

دانيـــــيل : « محاصيل زراعية وفيرة » .

الشـــــبح : (مندهشا) ماذا ؟

دانيـــــيل : لا شئ .

فـلــوريــن : يرى دانييل أنك محظوظ .

الشـــــبح : آه ، حـسـنا من الممكن أن دون دانيـيل لا يقول ذلك بصـورة جدية ولكننى بالفعل محظوظ . ما أعيشه الآن هى الحياة على عكس عملى السـابق . أنا ، وليغـفر الله لى ، أكن احتـراماً شديـداً لدون ريكاردو كمـا يحتـرم الابن والده ، ولكن تلك الحياة كانت هراء .

فـلــوريــن : من الممكن

الشـــــبح : كان بها نابليونية كثيرة وخيال كثير وبعد ذلك خوف . نعم لم يكن يغمض لى جفن ! قـد تكون مـسلية جداً كمـا كان يقول دون ريكاردو ولكننى كنت سأموت خـلال شهرين . أما الآن فالوضع يختلف . شئ جمـيل أن أعود وأرتدى ملابس عادية وأحس أننى أعيش حـقا وأخرج مع ضوء الشـمس ، علاوة

على أن الآنسة سيرينا تنادني دون خواكين ، ألا تعرف حضرتك ذلك ؟

فلورين : نعم !

الشبح : إنها طيِّبة جداً . . . سأقوم حالاً لإعداد باقة زهور لها . أقوم بعمل هذا كل مساء وتشكرنى هى فى كل مرة . كما لو كنت شخصية هامة ! هل الآنسة سيرينا بخير ؟

فلورين : ماريا ، اسمها ماريا .

الشبح : حقا ، لا أتذكر هذا أبدا ، إنها العادة . . .

فلورين : من قبل كان كل شئ مختلفاً . نعم ، إنها بحالة طيبة .

الشبح : وهلى ستشفى من كل ما بها ؟ حضرتك عالم يا دون فلورين ، فما لا تستطيع عمله ، من غيرك يقدر عليه . . . عالم وقديس .

فلورين : استحلفك بالله . . (يبتسم) هيا واذهب إلى بستانك ، عد إلى زهورك . . . وكرنبك .

الشبح : نعم كنت ذاهباً . . . واعذرونى . إلى بستانى ! طاب مساؤك يا دون دانييل . (يخرج وينحنى لسامى وهو يدخل) .

[دون فلورين ، دانييل وسامى]

فلورين : هل أخبرك بدروتى ؟

سامى : نعم .

فلورين : يقول أن هذا الصباح جاء رجل غريب طلعته سيئة وسأله بإلحاح شديد . . .

سـامى : نعم ، نعم ، لقد عرفت ذلك .

فلورين : حسنا ، يبدو أن هذا الرجل يعرفك جيداً . من يكون ؟ (يرتعد سامى وينظر إلى دانيل) تكلم فلم يعد يهم .

دانيـيل : هلى وجودى يزعجكما ؟

فلورين : لا . من يكون ؟

سـامى : يدعى هذا الرجل بيبو . . . أنا متأكد من ذلك .

فلورين : حسنا ، ومن يكون بيبو ؟

سـامى : صاحب السيرك

فلورين : هذا ما كنت أخاف منه . صاحب السيرك ، أليس كذلك ؟

سـامى : هو نفسه . اكتشف مكاننا وجاء للبحث عنا ، إننى أعرفه جيداً .

فلورين : ولكن ، بأى حق يقوم بهذا ؟

سـامى : بحق القوة .

فلورين : لا أقبل هذا الحق . يجب أن يرحل .

سـامى : يرحل ، حضرتك لا تعرف من هو بيبو .

فلورين : فليكن ما يكون فهذا شئ لا يهمنى .

سـامى : إنه ملئ بالعناد والإرادة . لقد رأيته يقتل رجلاً لأنه شكّ فى قوة عضلاته . لا يجب أن نعيش على أوهام يا دون فلورين ، فكما ترى حضرتك أن الموضوع يتعلق بابنتى وعلى الرغم من ذلك فإننى ارتعد بمجرد التفكير فى أنه وصل إلى هنا .

فلورين : هل أنت خائف ؟

سـامى : نعم خائف . علي الأقل من أجل سيرينا . لم أكن أجرؤ أبدا

على عدم طاعة أقل كلمة من كـلماته ، لا أستطيع أن أتحمل مظهره وطلعته وعينيه الباردتين الصغيرتين . . . لا أخاف على نفسى لأننى صرت عجوزاً ولكن ، وماذا سيكون مصير سيرينا ؟

فلـوريـن : سيرينا ، ماذا ؟

ســامـى : جاء ليبحث عما يخصه ، سيأخذها رغم أنف الجميع .

فلـوريـن : ماذا تريد أن تقول ؟

ســامـى : (بصوت اجش) سيرينا . . . ملك له .

فلـوريـن : أما هذا فلا ! ماذا تقول ؟

ســامـى : أستطيع أن أدافع عنها ضد العالـم أجمع ولكن معه لم أستطع ذلك . أخذها لأنها أعجبته ، كانت رغبته .

فلـوريـن : ربى ! ولكن وأنت يا سامى ، أنت . . . ؟

ســامـى : وماذا كـا بوسعى عمله ؟ سـيرينا لحسـن الحظ لم تفهم . لم يكن هناك شئ يمكن أن يؤلمهـا لأنهـا لم تكن تعى أى شئ . يمكن أن تجرح فى جسدها فقط . . . وبيبو كان يقوم بهذا .

فلـوريـن : سامى !

ســامـى : كان يضربها لأنه يحبها . هذا ما كان يقوله هو .

فلـوريـن : اسكت ، ياله من شئ كريه ما تقوله .

ســامـى : وكان يندم بعد أن يضربهـا ويقوم بتقبيلها كثـيراً وكان يقدم لنا البيرة .

فلـوريـن : كان يعطيكما البيـرة ! وأنت رأيته وهو يضرب ابنتك ! وكنت تعرف ماضيه !

ســامـى : وكان يضربنى أنا أيضاً . إنه أقوى رجل فى السـيرك وصاحبه ،

يملك القوة والمال . أيضاً كان يعطيـها مجوهرات عندما يكون معتدل المزاج . حضرتك لا تعرف شيئاً عن حالة مثل حالتى ، لا تعرف كيف تصل السيطرة على رجل بسبب الجوع والتعب والخوف . هذا هو بيبو وها هو هنا للبحث عنا . هل تفهم ؟ لا أخاف على نفـسى بل على ابنتي . . . وماذا يـهمنى أنا ! ولكن وسيرينا التى بدأت تعيش بعـد أن شفيت من جنونها ، حالة حب وفى منزل مع ريكاردو . . . ، أليس كذلك ؟

فـلـوريـن : (يضع يديه على كتف سامى) إننى أتحـسـر علـيك يا سـامى . . . وتجلعنى أصاب بإشمئزاز أيها الجبان !

ســـامـى : وهل كان يمكننى أن أقف ضده ؟ لم يكن حتى بوسعى مجرد النظر إليه .

فـلـوريـن : وإن كنت لم تستطع أنت ، أليس هناك قانون ؟

ســـامـى : أعلم ذلك ولكن كـانوا سيودعـونه السجن عـدة أيام وأنا فى الشارع للأبد وسيرينا فى مستشفى المجانين . . . للأبد ! نعم هناك قانون . . .

فـلـوريـن : حسنا . . . هل أخبرت ريكاردو بهذا ؟

ســـامـى : لم أجرؤ علي الاعتـراف بكل شئ ولكنى أخشى أن يشك فى ذلك .

فـلـوريـن : يجب ألا يعلم شيـئاً عن ذلك . اذهب أنت وافـعل ما يحلو لك ولكن سـيرينا مـلك لنا وسنقوم نحن بـحمـايتهـا . من المستحيل أن ترى بيـبو لأن رؤيتها له ستفـسد كل ما تم عمله وريكاردو أيضاً . إذا جاء هذا الرجل فـسأستقبله أنا .

سـامـي : حضرتك !

فلـوريـن : نعم أنا ، اذهب أنت .

سـامـي : سأنصرف (يشرع في الخروج) وأنا . . . أنا الأب ! الجبان ! (يخرج) .

فلـوريـن : هل سمعت يا دانييل ؟

دانيـيل : كل شئ .

فلـوريـن : ربى . . . ربى !

دانيـيل : (بصوت هادئ) قل لى يا سيد فلورين . لماذا تصر على شفاء سيرينا ؟

فلـوريـن : كيف !

دانيـيل : هل تعتقد أن من صالحها أن تسترو عقلها وتفتح عينيها مرة أخرى على هذا العالم القذر المحيط بها ؟

فلـوريـن : لست أدرى . . . على أية حال فهذا هو واجبى .

دانيـيل : واجب ، حسنا ولكنه قاسٍ . كانت الحياة رحيمة معها واعطتها عالما مليئا بالفتنازيا لكى تهرب إليه . . . لماذا تريد أن تحرمها منه ؟

فلـوريـن : لأنه كذب

دانيـيل : وإن كانت هى تعتقد فيه.

فلـوريـن : حتى ولو كانت تعتقد فيه .

دانيـيل : أنت وشأنك يا سيد فلورين .

فلورين : اسمعنى يا دانيـيل ، ربما اعطيك الحق الآن ولكنى سأندم غداً . إن كنت شرعت فى شفاء سيـرينا فهذا لأن ريكاردو طلبه منى بإلحاح شديد . وعندما أعدت إليها أحاسيسها الأولى وتحريت عن حقيقة حياتهـا من خلال مِحَن العقل ، أحسست بذعر . رأيت جيداً مـا انتزعته منهـا وما سيعطى لهـا فى المقابل . هل تعتـقد أننى لم أشك ؟ ولكـن لا يهم لأن ريكاردو يحبـها ، يحبها كما هى ولا أستطيع عمل أى شئ آخر .

دانيـيل : أنت وشأنك يا دون فلورين .

فلورين : لن أكذب عليه لأنه يجب علينا مواجهة الحقيقة علي الرغم من قسوتها (يعتمد الاقتراب منه) هل تسمعنى يا دانيل ؟ على الرغم من قسوتها لا يفيد بشئ أن نعصب أعيننا .

دانيـيل : (مستاءاً) اسكـت ! (يتماسك عندما يحس بواقع خطئ) طـاب مسـاؤك يا ريكاردو . (يخرج).

[دون فلورين وريكاردو]

ريكاردو : حقائب حضرتك جاهزة وذهب بدروتى لتجهيز السيارة .

فلورين : ليس هناك داع للسرعة .

ريكاردو : ألن تسافر هذا المساء ؟

فلـــوريـن : لا .
ريـكـــاردو : هل حدث خلل ما ؟ سيرينا . . .؟
فلـــوريـن : ماريا ، لا تخف فماريا على ما يرام ولكن يجب أن أنتظر هنا لكى أراقب حالتها .
ريـكـــاردو : أين كانت . . .
فلـــوريـن : يمكن أن نقـول أنهـا تجـاوزت مرحلـة الخطر ولكن يجب أن نتوخى الحذر يا ريكاردو لأن أقل شئ يحدث لها الآن سيكون خطرا لا يمكن علاجه . لا أثق فيك .
ريـكـــاردو : أنا ، مسكين أنا ، ماذا أستطيع أن أعمل ؟ إن كنت حضرتك لا تسمح لى حتى برؤيتها .
فلـــوريـن : سيكون هناك مزيد من الوقت . أنت ممرض سيئ فعلى الرغم من اننى حذرتك إلا أنك أخذتها ذلك اليـوم لكى تمشى معها على ضفاف النهر ، وعليه فقد وجـدتها فى حالة سيئة ليلا ، لأن اللون الأزرق ورائحة النبـاتات يعيدان إليهـا الهذيان الذى كانت عليه .
ريـكـــاردو : آسف ، لم أضع هذا فى الاعتبار .
فلـــوريـن : وهنا ، ماذا تفعل هذه النافذة المفـتوحة ؟ هكذا يدخل صوت لبحر (يغلق ريكاردو النافذة) وأيضاً يجعلهـا تشعر بدوار ، كل شئ يمكن أن يسبب لها شـئ من الجنون . من الضرورى أن أكون على يقين تام قبل رحيلى من أن أوامرى ستنفذ بالحرف الواحد وألا يكون هناك شئ غـير بسـيط وطبيعـى فى الإشارات أو

الكلمـات أو حتى فى الملابس ولا تنـادها بسيـرينا ، احلفك بأغلى شئ عندك .

ريكـــاردو : نعم ، نعم سننفذ كل التعليمات .

فلـــوريـن : حتى الأنوار لا يجب أن تكون خضـراء أو حمراء ، هذا النور الأبيض . . . والشمس أفضل من أى شئ .

ريكـــاردو : ما تأمر به حضرتك .

فلـــوريـن : وإن كان من الممـكن أن تعيش فى منزل آخـر فى الجبل . . . منزل ، لأن هذا المنزل الملئ بالـسحـر يؤثر على أعصـاب أى شخص .

ريكـــاردو : سنقوم بعمل كل ما هو ضرورى لكى نعيد إليها عقلها .

فلـــوريـن : العقل . . . كيف تطلبـه الآن ! طلبت من قبل الجنون وعندما وجدته لم يكن لديك إلا غريزة لكى تعود للوراء .

ريكـــاردو : ما فات مضى . لن نتحدث عن هذا الموضوع مرة أخرى .

فلـــوريـن : بكل سرور ولكنى أفكر فى رغبتك السابقة فى تجريد الحياة من الصفات الإنسانيـة ،وأنظر النتيجة فما كان بالنسـبة لك مجرد لعبة عبقرية بسيطة كان بالنسبة للآخرين ألما ، كنت تجرب على أجسـاد حية . لم تر جنون ماريا ولا جـوع سامى المؤلم ولا حتى التـراجيديا الصبـيانية لذلك الشبح الذى كـان يخاف من ظله ويموت كل ليلة فى حجرته .

ريكـــاردو : لست فى حاجـة لكى يقال لى أى شئ يا سـيد فلورين لأننى تعلمت الدرس جيداً وقست كل شئ .

فلورين : ومشاعرك . . . هل قستها أيضاً ؟

ريكاردو : نعم .

فلورين : هل تحب ماريا ؟ هل أنت متأكد من ذلك ؟

ريكاردو : أحبها من كل روحى .

فلورين : حسنا ، سأعيدها إليك سليمة . . . ولكن من المحتمل أن تكون الحقيقة التى ستجدها عليها الآن محزنة .

ريكاردو : كما تكون .

فلورين : هل تحبها على أية حالة ؟

ريكاردو : كفى . أحبها ! (تدخل سيرينا) .

فلورين : ها هى (بصوت خفيض) تمهل يا ريكاردو . (مسرورا) أهلا يا ماروحا ، كيف حالك ؟

سيرينا : على ما يرام ! شكراً جزيلاً .

فلورين : لم يعد هناك دوار .

سيرينا : أننى فى حالة جيدة لم أحس بها من قبل . الآن أريد أن أغزل هذا الصوف ، هل يمكننى ؟

فلورين : حسنا ولكن دون أن تجهدى تفكيرك كثيرا ، هل فهمت ؟ (تمد سيرينا يدها إلى ريكاردو) مهلا . (يخرج) .

[سيرينا وريكاردو]

سيرينا : هل يضايقك وجودى ؟

ريكاردو : لا ! ولماذا ؟

سيرينا : يقول السيد فلورين أنك مشغول دائما . . . وأنا أيضاً ، انظر (تريه ما تعمله : خف صغير من الصوف الأبيض) منذ وقت طويل لم أعمل هذه الأشياء واعتقدت أننى نسيتها . لا أدرى ماذا سيحدث لى لو نسيت كل شئ .

ريكاردو : التعب ، لا تزالين ضعيفة جداً .

سيرينا : لا أزال ، ومنذ متى ؟ طالت فترة مرضى كثيرا والكل يتحدث عنها كأنها شئ أبدى . هل تعمل شيئاً الآن ؟

ريكاردو : لا . . . كنت أفكر .

سيرينا : فيم كنت تفكر ؟

ريكاردو : فى موضوع أريد أن أناقشه معك . اخبرينى . . . هل يعجبك هذا المنزل ؟

سيرينا : نعم . . .

ريكاردو : اجيبينى بصراحة ، هل يعجبك أن نعيش فى منزل فى الجبل ملئ بالأشجار ؟

سيرينا : نعم يعجبنى وأن يكون هادئا جداً لأن هذا المنزل . . . غريب جداً . أتذكر منزلى السابق مع أبى سامى ، وذلك المنزل الذى كان حزيناً كان به ضوء أخضر . . . كان والدى يحتسى البيرة ويجلس على الأرض ليعزف القيثارة وتسيل دموعه على خديه وبعدها يقرأ لى كتابا كبيرا عن الله .

ريكاردو : (قلقا) لا تفكرى فى هذا .

سيرينا : أتذكره أحيانا وأتذكر أشياء أخرى ،كل شئ يتم كما كنت

أحلم به لست أرى كيف أفصل بين الحقيقة وبين الكذب لأن هناك أشياء . (تبقى ثابتة وتجهد ذاكرتها .) هناك أشياء لا يمكن أن تكون حقيقة .

ريكاردو : (خلفها، يمسح يده على جبهتها بحنان) لا تفكرى ، لا تجهدى نفسك .

سيرينا : (تمسك يديه دون أن تنظر إليه) ولكن إن كان كذبا ، كيف أحلم به عدة مرات ؟ عيون باردة صغيرة . . . وسوط فى اليد . . .

ريكاردو : دعك من هذا ولا تفكرى فيه مرة أخرى يا سيرينا .

سيرينا : سيرينا . . . لماذا تنادينى بهذا الاسم ؟ هل لا يعجبك اسمى ؟

ريكاردو : يعجبنى ، أنه جميل جداً : ماريا .

سيرينا : ماريا اسم جميل جداً ، بسيط جداً . . . وسيرينا . . . من كان يسمى بهذا الاسم ؟

ريكاردو : أى شخص ، فيم يهم ؟

سيرينا : سيرينا . . .

ريكاردو : آه ، كفى ! من الضرورى ألا تجهدى نفسك وألا تعملى أيضاً ، دعك من هذا الغزل .

سيرينا : لا ، يجب أن انتهى منه بسرعة لأنه من المحتمل أن احتاج إليه قريباً .

ريكاردو : وما هذا ؟

سيرينا : خف صغير من الصوف لكى يحمى رجليه تماما من البرد .

ريكاردو : ماذا تقولى ؟

سيرينا : رأيت ذات مرة طفلا يبكى وقدميه سوداء من شدة البرد

وسبب لى هذا ألماً كبيراً . . . وابننا لن يكون هكذا ، لا يتوق لى أن يبكى .

ريكاردو : ولكن ، عمن تتكلمين ؟

سيرينا : عن الابن .

ريكاردو : الابن .

سيرينا : إننى أضحك من السيد فلورين ومما يعرفه . يقول أن هذا الدوار . . . سببه رائحة البحر والخثيات ولكننا نحن النساء نعرف الكثير فى هذا الموضوع عن الأطباء . البحر . . . إن كان هو السبب ، فما معنى ما أحس به بداخلى . . .

ريكاردو : ابن ! (يضع يده بتوتر على الغزل) ولكن ، ابن من ؟

سيرينا : ابن من ؟ (حزينة) ماذا تريد أن تقول ؟

ريكاردو : (بمجهود) آسف . . . لا أعى ما أقول . . استمرى فى الغزل .

سيرينا : استمرى ، استمرى . . . (تنكب على الغزل . يدخل الشبح وفى يده باقة من الزهور الناضرة.)

[هما والشبح]

الشبح : آنستى . . . لم أجرؤ على الوصول إلى غرفة حضرتك . عموماً الموضوع لا يستحق لأنها بعض الزهور . . . ولكن . . . بما أننى الذى أزرعها . . .

سيرينا : (تمد له يدها) حضرتك تعاملنى معاملة حسنة . شكراً يا دون خواكين .

الشـــبح : (يتأثر كالطفل بكلام سيرينا) هكذا . . . خواكين ، فعلي الرغم من أنه لا يبدو شيئا مهما إلا أنه يروق لي سماعه ! (يقبل يدها ويخرج) دون خواكين . . . دون خواكين . . . (يخرج، تداعب سيرينا الزهور . وقفة طويلة) .

سـيـرينا : أراك تصمت كثيرا يا ريكاردو .

ريـكـاردو : لا . . . كنت أفكر .

سـيـرينا : كنت تفكر ! لماذا تعاملنى بهذه الطريقة ؟

ريـكـاردو : أنا ! وماذا أفعل لك أنا ؟

سـيـرينا : ألا ترى ؟ ينعكس مزاجك السيئ على كل شئ .

ريـكـاردو : لا تعتقدى فى هذا ، كنت أفكر .

سـيـرينا : وأنا أيضاً ، هل تعلم فيما كنت أفكر ؟ فى أنك لا تحبنى وأننى أضايقك .

ريـكـاردو : كفى ، لايروق لى أن تتكلمى بهذه الطريقة .

سـيـرينا : ولكن إذا كنت لا تحبنى فقد أخطأت فى المجئ بى إلى هنا مخدوعة . ماذا أفعل هنا ؟ لست زوجتك ولا أختك . . . ماذا أفعل هنا ؟ ومنذ متى وأنا هنا ؟

ريـكـاردو : اوه ! اسكتى ! . . .

سـيـرينا : لست زوجتك . . . وسأنجب طفلا . ما معنى هذا يا ريكارود : ؟ لقد خدعتمونى كلكم وقلتم لى أنكم تعالجونني ! من ماذا ؟

ريكاردو : استحلفك بأغلى شئ عندك يا سيرينا !

سيرينا : ولماذا تنادينى سيرينا ؟ إنها المرة الثانية التي تنادينى فيها بهذا الاسم . لا أفهمكم . كلكم ، كلكم تخفون عنى شيئاً ومن الضرورى أن أعرفه . (تتحمس) لماذا تخاف من أى يكون لى ابنا ؟ ومن قبل . . . من قبل لماذا سألتنى عن أب هذا الطفل ؟ (تحضنه) ريكاردو لماذا ؟

ريكاردو : (مجنون) لأنه ليس من صلبى ! لأنه من صلب كل الأوغاد الذين استفادوا من جنونك ! إنه ليس ابنى ! هل تسمعينى ؟ ولا حتى ابنك ! اننى أحبك ! أحبك على الرغم من كل شئ !

[نفس الأشخاص ودون فلورين . يظهر بدروتى عند الباب المقابل]

فلورين : (جادا) ريكاردو :

ريكاردو : (يتماسك) آسف . . .

سيرينا : (خائرة القوى) اوه ، ابن ! . . .

بدروتى : سيدى ، ذلك الرجل . . .

فلورين : (يقاطعه) فليتظر ! (يخرج بدروتى) .

سرينا : لم يحدث شيئ يا دون فلورين .

فلورين : (بسرعة) استحلفك بروحك أن تأخذها من هنا .

سيرينا : (تخرج متكئة على ريكاردو) كيف يعض . . . كيف يعض ابنى هذا .

[دون فلورين وبيبو]

فلورين : من الذى أذن لك بالدخول ؟

بيبو : لم يسمح لى أحد . لقد قال لى ذلك الشاب الذى يرتدى الصديرى الأحمر أن انتظر ولكنى لم أخلق لكى أنتظر فى أي مكان . هل يتفضل سيد المنزل ويقابلنى ؟ ذلك السيد ريكاردو .

فلورين : لا يستطيع السيد ريكاردو أن يستقبل أحداً .

بيبو : هذا ما كنت أنتظره . كنت أخشى أن يقوم الخادم بكشف السر .

فلورين : هل تتفضل وتخبرنى بما تريد ؟

بيبو : معذرة ، هل حضرتك المفوض ؟

فلورين : أتمنى ألا تتمادى حضرتك فى هذا الخط ، فهذا الكلام أحفظه عن ظهر قلب وهو من باب الإساءة . ستتفاهم جيداً بأى أسلوب آخر .

بيبو : شكراً . وأنا أيضاً لى خبرة فى التعامل مع الأشخاص .

فلورين : ماذا تريد حضرتك ؟

بيبو : قبل أى شئ اسمح لى أن أقدم نفسى . اسمى بيبو ، صاحب سيرك «بالاس» ، حزام ملكة إنجلترا الكبير . . .

فلورين : كنت أعرف ذلك .

بيبو : وحضرتك ؟

فلـــوريـن : أنا ، لن يفيد كثيراً معرفة اسمى
بيـــبـــو : يسرنى معرفة حضرتك .
فلـــوريـن : لقد سألت حضرتك ماذا تريد .
بيـــبـــو : بالتفـصيل . أنا إنســان فظ جداً ، واحـــدة من مـتطلبات المهنة . . .
فلـــوريـن : يلاحظ ذلك .
بيـــبـــو : (يسكت لحظة) فعـلا ؟ فعلا فظ جـيداً ، كثيـراً ومتعـقل جداً أجمع بين الصفتين وعلى حضرتك أن تختار .
فلـــوريـن : بدون مواربة .
بيـــبـــو : بوضوح شديد . حضرتكم قـمتم باختطاف امرأة هى ملك لى . نعم ملكى يبـدوأنهـا أعـجبت السـيـد ريكاردو ، لا أعتـرض فقد أعجـبتنى أنا أيضاً ولكنى امـتلكتها كثـيرا من الوقت وهى ليست المرأة التى تستحق كل هذا .
فلـــوريـن : أوجز .
بيـــبـــو : إن كنت قـد قلت لحضـراتك أنها ملكى وإننى مللت منـها . . . مغزى الحكاية إن دفـعتم فيهـا جيداً . . . (يخطو فلورين خطوة نحوه ، يوقـفه بيبو بطرق العـصار) تروى ، اتفقنا على أن نتكلم بصراحة متناهية .
فلـــوريـن : تقول حضرتك أن ندفع ! وتجرؤ على قول هذا ! .
بيـــبـــو : أتكلم عم هـو ملكى . لا يجب أن تكون هـناك إهانة لأنه من الممكن أن أقوم بدور المهان وأجئ كالمحب الولهان ولكن

لو حددنا كل شئ ستتوصل إلى حل يرضى الجميع .

فلورين : دعك من هذه التهديدات فليس لها مكان هنا .

بيبو : يسرنى ذلك لأنى أفضل الطريق الآخر .

فلورين : لن يكون هنا مجال لأى طريق . هنا لا نفهم فى شراء النساء .

بيبو : هذا بالنسبة لحضرتك ولكن يوجد هنا سيد مختفى يمكن أن يناسبه هذا العرض . قل له حضرتك أن يخرج فلن آكله .

فلورين : ذلك الرجل لا يختفى من أحد !

بيبو : أين هو ؟

فلورين : (يقف أمامه) لا تتحرك !

بيبو : هلى تمنعنى من ذلك ؟

فلورين : أنا

بيبو : آه ، سامى (يحاول أن يدفعه لكى يمر ولكن يمسك دون خواكين بيده) دعنى . (يدفعه سامى ويدخل . احتسى كثيراً وجاء ثملاً من الخمر والخوف ، يهمهم بنغمات من «نشيد المرسييز» ويحمل سوطا فى يده .) .

[هما وسامى وبعد ذلك ريكاردو]

سامى : «فلتذهب يا أطفال من الوطن » .

بيبو : عجبا يا سامى ! النمرة الثانية .

سامى : نعم ، سامى ! ما رأيك ؟ أنا الأب ، هل تعلم ؟ وجئت لأفتح رأسك .

بيبو : مثل السكّير . كما هى عادتك .

سـامـى : رأس الثور هذه ، سأقطعها أنا .

فـلـوريـن : اذهب يا سامى .

سـامـى : لن أذهب . كانت لى ابنة وكان لبيبو سوط . . . هل تفهم أيها العجوز ؟ واليوم أحضر أنا السوط . . أحضر السوط . . و . . . (يصل حيث يوجد بيبو ويركع) لا ! سامحنى يا بيبو !

بيـبـو : (يدفعه) أبله !

سـامـى : لم أكن أقصد الإساءة إليك . الموضوع أننى شربت . . . وأحضر سوطا و . . . و . . . (يبقى منهكا ومثقل الجفنين على بعض الوسائد.)

بيـبـو : الأب ، ها هو أمام حضرتك . هذه هى كل الأسرة ! ذلك الشئ أيضاً ملكى ولكننى سأهديه لحضراتكم .

فـلـوريـن : اخرج حضرتك من هنا .

بيـبـو : أريد رؤية سيرينا .

فـلـوريـن : مستحيل !

بيـبـو : أو أرى السيد . واضح أن دفع النقود يفزع حضرتك والموضوع لا يستحق كل هذا فلن أطلب القمر . . . أفهم أن المسكينة . . . على حالتها هذه . . .

فـلـوريـن : (ينقض عليه) وغد ! (يظهر ريكاردو ، اساريره وجهه متغيرة ويجاهد لكى يبدو هادئاً.) ريكاردو !

بيـبـو : تحت أمرك .

ريـكـاردو : (موجز ، يصل حيث بيبو.) اخرج

بيبو : اسمع أيها الشاب .

ريكاردو : سيرينا هنا ، هل تسمعنى ؟ لو حاولت رؤيتها أو تفوهت حتى بكلمة سأقتلك .

بيبو : هكذا . . .

ريكاردو : أقسم بروحى أننى سأقتلك هنا . (دون أن يرفع صوته وبثبات شديد يحس بيبو أنه يتكلم بجدية.) .

بيبو : (يبحث عن موقف رابح) لا يجب أن تكون على هذه الحالة يا رجل . . . جئت أتكلم بعقلانية .

ريكاردو : ولا لحظة أخرى .

بيبو : حسنا (يقهقر) أظن أننا سنلتقى مرة أخرى . . .

ريكاردو : (بحسم) أخرج .

بيبو : إذن إلى أن نلتقى مرة أخرى . لاتقولوا بعد ذلك أن الذنب ذنبى . تحت أمرك (يخرج)

[ريكاردو ، دون فلورين ، سامى وبعد فترة يدخل دانييل]

فلورين : ريكاردو ابنى . . .

ريكاردو : الحقيقة . يجب أن نواجه الحقيقة ، أليس هذا ما تأمر به حضرتك ؟

سامى : (مثقل الجفنين) "وصل يوم المجد" . . .

ريكاردو : هذا الرجل . . . سامى (يضربه) .

فلورين : دعه ، إنه ثمل .

سامى : ماذا ؟ هل ذهب ؟ وأنا . . . !

فلورين : اذهب يا سامى وأغلق عليك باب حجرتك .

سامى : ذاهب ... ذاهب ... وأنا ... الذى أحضر السوط ... الأب ! «هيا يا أطفال» ... (يخرج ويقابل دانييل) .

ريكاردو : الحقيقة !

دانييل : ماذا يقول سامى ؟

ريكاردو : الحقيقة مؤلمة جدا يا سيد فلورين ! ولكن لدى حضرتك كل الحق ، فعلى الرغم من قسوتها ومرارتها ... (يتأثر) هل تسمع يا دانييل ؟ وأنت أيها الجبان تضع عصابة على عينيك لكى لا ترى ! (ينزع العصابة) أنظر أنت أيضاً إلى الإمام !

دانييل : (صارم) ريكاردو !

ريكاردو : (ينظر إلى عينيه البيضاوين اللتين لا تعبران عن شئ) أعمى !

دانييل : لماذا فعلت هذا ؟ ما الضرر الذى سببته لك ؟ إذا كان خيالا فلتنسه ... (يمد يديه) اعطنى . (يعود ويضع العصابة) لا تقل لأحد أننى أعمى ، لا تقل لأحد ... (يخرج) .

ريكاردو : أعمى .

فلورين : (ببرارة) كنت أعلم ذلك !

ريكاردو : ولكن هذا شئ رهيب ... وهل هذه هى الحقيقة ؟ دائماً تكون هكذا ؟ هل هذا هو الذى تريد أن تعيده لسيرينا ؟ آه ، لا ، لن يحدث هذا ! شكرا يا سيد فلورين على ما كنت تريد عمله . اذهب حضرتك ألم تكن تنوى السفر هذا المساء ؟ إذن فلتذهب . سأقوم بتحطيم ما فعلته خطوة

خطوة . بروح وسعادة جديدة . (يصرخ) سيرينا ! سيرينا !
(يفتح النافذة على مصراعيها.) .

فلـوريـن : مجنون ! ماذا ستفعل ؟

ريـكـاردو : ما فعلته مع دانييل . سأعصب عينيها مرة أخرى ! دعنى !

فلـوريـن : لا !

ريـكـاردو : نعم ! (يتخلص منه بعنف . تدخل سيرينا) ارحل . (يخرج دون فلورين) .

[ريكاردو وسيرينا]

سـيـرينا : ماذا يحدث ؟ لماذا تصرخ هكذا ؟

ريـكـاردو : تعالى ! إنك لى وحدى !

سـيـرينا : لماذا كنت تنهر دون فلورين .

ريـكـاردو : لأننى أحبك ! إنهم أشرار كل هؤلاء الرجال . . . ودون فلورين أيضاً . . . كانوا يريدون خداعك ، يعيدون وعيك لحياة وغدة وقذرة !

سـيـرينا : أوه ، من . . . ، ماذا تقول ؟

ريـكـاردو : وهذا كذب ! فأنت حورية ، أنت بيضاء وزرقاء ألا ترين البحر ؟

سـيـرينا : (بقوة غريزية) دعنى !

ريـكـاردو : سنعود إلى البحر عندما تريدين . لدى زورق . سنقلع ليلا . . . (يضىء نورا أخضر شديداً.)

سـيـرينا : (مضطربة) البحر . . . البحر . . . .

ريكــاردو : سنذهب إلى منزلنا فى القــاع ، ألا تتذكرين ؟ . . . شــرفة مليئة بالخثيات وبرج من الدلافين . . .

سـيــــرينا : نعم . . . أتذكر ، أتذكر . . .

ريكــاردو : «أصبح حـبيبى مـركبا من خـشب لبنان . . . مجـاديفه من الفضة وخطاطيفه من الحب . . .»

سـيــــرينا : (تخفى وجـهها بين ذراعيـها.) أوه ، اسكت ! (تقع مستـسلمة على إحدى الأرائك.)

ريكــاردو : تعالى !

سـيــــرينا : لا ! استـحلفك بروحك يا ريكاردو . . . رأسى تنفـجر ، أحس أننى أموت . . . ذلك النور . أطفئه .

ريكــاردو : لا تخافى . . . فالبحر فى انتظارنا . سنبقى فيه معاً للأبد !

سـيــــرينا : لا ، كنت فـيه ذات مرة . . . إنه هــاوية مرة . والآن . . . (تضع ذراعيها فوق بطنها وتنتهد باكية .) ابنى

ريكــاردو : سيرينا !

سـيــــرينا : لا تأخـذنى يا ريكاردو من أجـل ابنى ! تلك النافـذة . . . (يترنح ريكاردو) من أجله ! (يغلق ريكاردو النافذة) الآن . . . بجانبى . لا تأخذنى . . .

ريكــاردو : (مهزوما) يا امرأة . . . !

سـيــــرينا : إنه الابن ، هل تفهم مـعنى هذا ؟ إن لم يكن من أجله . . . ! إلى المنزل الآخـر ، فى الجـبل ، الملئ بالأشـجار والهـدوء . . . ليس هناك شئ . . . ، الدوار . . . (تميل رأسها على المقعد)

ذلك النور . . . (تدور عينيها يطفئ ريكاردو النور) .

ريــكـــاردو : الآن ، نعم ، يجب أن نعالجها الآن على الرغم من أى شئ

(يعود إلى جانبها) نامى . (يقبل يديها بحنان شديد.) ماريا .

وسدل الستار

٢ - نوفمبر وقليل من العشب

مقدمة

لم يحظ أحد من كتاب إسبانيا الحاليين بنفس الشهرة التى يحظى بها انطونيو جالا حيث تثير اليوم شخصيته حماساً شعبياً منقطع النظير ، فبمجرد الإعلان عن ندوة له تلتف الجماهير الغفيرة من حوله لتحييه أو لتهديه أى شئ أو تطلب منه شيئاً أو لتلمسه كما لو كان قديساً . وترجع هذه الشعبية إلى أن كاتبنا لم يكتب لطبقة المثقفين أو للنقاد فقط ، بل لجموع الشعب فأغلب الشعب الإسبانى يحس عند قراءة أو مشاهدة أعماله أن موضوعاتها وأحداثها هى ما عاشها بالفعل وعانى من نتائجها وأنه عاجز عن التعبير عنها بهذه الدقة .

ولد انطونيو جالا فى الثانى من أكتوبر عام ١٩٣٦ فى مدينة قرطبة فى كنف أسرة ميسورة الحال حيث كان يعمل والده طبيباً . تلقى دراساته الأولى والمتوسطة فى مدرسة «لاسال» وأظهر خلالها شغفه بالقراءة وكتب قصة قصيرة بعنوان «حكاية قط» وشجعه والده على الاستمرار فى الكتابة . عندما كان يبلغ من العمر ١٤ سنة تقدم لإمتحان فى جامعة أشبيليه وبهر مستواه أساتذة الجامعة هناك فمنحوه جائزة وسمحوا له بالإلتحاق بالجامعة دون أن ينتظر السن المطلوبة وبالفعل وفى عام ١٩٥١ التحق كاتبنا بكلية الحقوق بجامعة أشبيليه نزولاً على رغبة أبيه لأنه كان يتمنى أن يكون مهندساً معمارياً . وفى فترة دراسته الجامعية بدأ يكتب الشعر والقصة القصيرة وأسس وأدار مجلة «الجُب» وأسس أيضاً بالتعاون مع جلوريا فويرتيس وخوليو ماريسكال مجلة «اركيرو دى بوليسيا» فى مدريد .

وعندما كان فى الفرقة الثالثة بكلية الحقوق ، انتسب إلى كليتين أخريين فى مدريد وهما كلية الآداب (قسم تاريخ) وكلية العلوم السياسية وأنهى دراسته فى الكليات الثلاث بتفوق واضح وتقدم لمسابقة للعمل فى سلك

المحاماه التابع للدولة - أيضاً بناء على رغبة والده - ولكنه لم يكمل الامتحانات لأنه عانى من أزمة نفسية حيث انه كان يرى أن العمل فى المحاماه لا يتماشى مع ميوله الأدبية والشعرية ، وبالفعل قرر أن يلتحق بأحد أديرة مدينة خيريث وقضى هناك سنة كاملة خرج بعدها نزولاً على رغبة أصدقائه المقربين منه .

وللبحث عن ذاته ، عمل جالا في مهن عديدة : جرسون ومساعداً بنّاء وموزع خبز وقرر بعد هذه الفترة العودة إلى مدريد وعمل مدرساً للفلسفة وتاريخ الفن فى عدة مدارس وواصل الكتابة فى مجال القصة القصيرة حيث نشرت له عدة قصص منها «الغرفة المظلمة» وفى عام ١٩٥٩ حصل ديوانه الشعرى «العدو الحميم» على جائزة «أدونيس» وبدأ يكتب فى جريدة «اريبا» سلسلة من المقالات عن السياسة الدولية تحت عنوان «حول المشروبات الوطنية» .

وفى عام ١٩٦٠ عمل مديراً لمعهد فوكس للغات والثقافة وأدار بالتعاون مع ادواردو يوسنت مارانيون صالة مير للفنون وفى العام التالى أسس وأدار قاعة نادى الفن «الاريول» فى مدريد وبعدها سافر إلى إيطاليا وعاش فى مدينة فلورنسيا سنة ادار خلالها قاعة «لابورجيس» ونشر فى مجلة «كواديرنوس اسبانو امريكانوس» قصيدته «وقت غير مناسب» .

وكان عام ١٩٦٣ حاسماً فى حياة جالا الشخصية والمهنية ، ففى فبراير علم أن والده يعانى من مرض خطير فقرر العودة إلى إسبانيا ليكون إلى جواره ولكن وافته المنية فى شهر مايو من نفس السنة الأمر الذى جعل كاتبنا يعانى لمدة طويلة من فقدان الأب والوصى وفى نفس السنة حصل على جائزة «لاس البنيناس» عن قصته «انقلاب الشمس الشتائى» وفى ١٣ يوليو فوجئ بحصوله على واحدة من كبريات الجوائز الإسبانية وهى جائزة

«كالـديرون دى لاباركا» عن مـسرحـية «حـقول عدن الخـضراء» التـى قام بتقـديمها صديقاه فـيليكس جراندى وباكا اكيـرى دون أن يدرى وتم عرض هذه المسـرحيـة فى نفس العـام على أكبـر مـسارح مـدريد ولاقت نجاحـاً جماهيرياً وامـتدحها أغلب النقاد وكبار كـتاب المسرح فى ذلك الوقت ومن بينهم اليخاندرو كاسونا وعرضت أيضـاً فى أغلب مقاطعات أسبانيا وبعض دول أمريكـا اللاتينية وفى عـام ١٩٦٥ نالت هذه المسرحـية جائزة «مـدينة برشلونة» .

وفى عام ١٩٦٦ تم عرض ثانى أعمال جالا المسرحية «الشمس فى بيت النمل» وقد اعـترضت الرقابة كـثيراً على هذه المسـرحية وتم حـذف أجزاء كبيـرة منها ، وبدأ فى هذه السنة الكتابة لجريدة «بويبلو» وسـافر أيضاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء المحاضرات فى جامعة «أوكلوهاما» وانتقل بعدها إلى جامـعة انديانا وكتب خلال هذه الفتـرة مسرحية «نوفـمبر وقليل من العشب» وتوجه إلى بورتوريكو حيث قـضى هناك عدة أشهر وعاد إلى اسبانيا وبدأ يكتب بعض المسلسلات للتلفزيون الأسبانى من أهمها «أخيراً ، الأمل» وأعد أيضـاً للتلفزيون بعض أعمـال شكسبيـر وموليـيـر وشارك فى إعداد سيناريو بعض الأفلام للسينما الأسبانية .

وفى ١٩٧٢ عـرضت مسـرحيـة «الأيام الحلوة الضـائعة» ووصل عـدد عروضـها إلى أكـثر من خـمسـمائة عرض وحـصلت على عـدة جوائز : «الجائـزة الوطنية للآداب» ، «جـائزة المشاهد والنقـد» ، «جائزة مـاتى» ، «جائزة بلد الوليد» وجائزة «فور والمسرحـية» وكتب أيضاً مسلـسل «لو تتكلم الحجارة» ونال عـدة جوائز . وفى خضم انتصاراته الأدبيـة عانى جالا من التهاب فى الإثنى عشـر وأجرى عملية جراحية صعـبة ظل بعدها فى حالة خطيرة لمدة عشر سـاعات وعملت هذه العلمية على إحداث تغـيير ملموس

فى حياته حيث انزوى عن الأصدقاء والحيـاة العامة وفضل البقاء وحيدا فى منزله وكف عن القيام بالرحلات الطويلة ولكنه عـاد للكتابة للمسرح حيث نشـرت مسـرحيـة «حظ سعـيد أيهـا البطل» وارسلها للرقـابة وحـذف ما اعترضت عليه تمهيدا لعرضها على خشبة المسرح ومع ذلك مُنع عرضها فى اليوم السابق للافـتتاح . وفى سبتمبـر من نفس السنة تم عرض واحدة من أفضل وأهم مـسرحياته وهى «خاتمان مـن أجل سيدة»(*) وحققـت نجاحاً جماهيـرياً منقطع النظير سواء فى إسبـانيا أو خارجها وحـصلت على سبع جوائز . ويتوالى نجاح جالا المسرحى ، فـفى عام ١٩٧٤ عرضت مسرحية «الأعواد المتـدلية من الأشـجار» فى مدينة برشـلونة وفى ١٩٧٥ تم عرض مسـرحية «لمذا تجرى يا أولـسيس» التى لاقت ترحيـباً شديداً من الجمـهور وعلى الرغم من ذلك هاجمتـها الرقابة هجوماً شـديداً واعزت هذا النجاح إلى الممثلة صاحبة الشعبية الكبيرة فيكتوريا بيرا ولهذا السبب ظل جالا حتى عام ١٩٨٠ دون الكتابة للمسرح إلى أن كتب مـسرحيته الغنائية «كارمن ، كارمن» وبعدها «بيترا المهداه» التي أحدثت انقساما بين النقاد إلا أنها حققت نجاحاً جماهيريا كبيراً وكتب أيضاً مسرحية « آنسة الفردوس العجوز» .

وفى عام ١٩٨٢ عـرضت مسـرحية «مـقبرة العـصافـير» وفى ١٩٨٥ مسـرحية «سمر قند» وفى ١٩٨٧ «سينيكا أو فائدة الشك» .

وعلى الرغم من موت الجنرال فرانكو فى نوفمبـر ١٩٧٥ وتحول أسبانيا من الديكتاتورية إلى الديمقراطية إلا أن هذا لم يضمـن حرية التعبير والرأى حث تم منع عرض مـسلسله التاريخى «منظر طبيـعى بتماثيل» بعـد الحلقة الثالثة وفى مايو ١٩٧٦ كتب مقـالا هجائياً ضد الأرامل فى جريدة «سابادو

(*) ترجمها وشفعها بمقدمة الأستاذ الدكتور / عبد اللطيف عبد الحليم ونشرت فى سلسلة من المسرح العالمى ، العدد ١٧٧ ، يونيو ١٩٨٤ ، وزارة الإعلام – الكويت .

جرافيكو» أظهر فيه أنه لم يعد هناك أنصار فرانكو ومن هم ضده لأنه «بموت الكلب انتهى الحنق» ومع ذلك فهناك من يحاول أن يستفيد من المعاشات والإعانات وصناديق الإعانة ووظائف بدون عمل مقدمة من ميت وهاجم أيضاً الرئيس ارياس نابارو لمنعه عرض مسلسل «منظر طبيعي بتماثيل» . وقد ادى هذا كله إلى استقبال جالا التهديد والوعيد الأمر الذى جعله يطلب حماية شخصية من وزير الحكومة آنذاك السيد ماتويل فراجا ، وفى الرابع والعشرون من مايو ١٩٧٦ استقبلت جريدة «ساباد وجرافكو» نبأ اغتيال جالا ولكنها كانت مجرد اشاعة مغرضة ومن يومها وحتى وقتنا هذا لم يكف جالا عن الكتابة الصحفية فمقالاته تنشر اليوم فى جريدة «البابيس» وهى أكبر جريدة اسبانية ، كما أنه تفرغ فى السنوات الأخيرة لكتابة الراوية الطويلة .

مسرح انطونيو جالا

يعالج جالا فى أغلب أعماله قضية صراع الفرد ضد السلطة والحب كقوة واقية والبحث عن الفردوس ونقص الحريات والعدل فى عالم مجرد من الصفات الإنسانية ، ففى أولى مسرحياته «حقول عدن الخضراء» يحاول بطل المسرحية ، خوان ، ان يؤسس ملجأ فى المقابر لحماية الفقراء والمشردين يملؤه الحب والعطف والحنان وعند الاحتفال بأعياد «الكريسماس» يأتى العمدة - ممثل الحكومة البيروقراطية المجردة من الإنسانية - ويقوم بطرد هؤلاء الفقراء بحجة أن السواح يشكون من تسولهم وأن المقابر هى مكان مخصص للأموات فقط ، يهرب الجميع عدا بطلى المسرحية اللذين يفشلان فى البحث عن الفردوس لأنه لا يوجد فقط إلا فى الحياة الأخرى . أو من المحتمل أن شخصية خوان ترمز للأسبان الذين عادوا من المنفى ، وأراد جالا أن يقول أنهم سيجدون فى بلدهم مشاكل إقتصادية وسياسية

خطيرة وإن المقابر هنا رمز لإسبانيا ، ويظهر في هذه المسرحية بوضوح النقد المباشر للوضع السياسى فى إسبانيا وذلك عندما يغنى لوتيريو بعد أن بقى عدة أعوام دون غناء لأن الغناء كان ممنوعاً منعاً باتا وهو بذلك يتحدى الرقابة والقمع .

وفى مسرحية «قوقعة فى المرآة» يعم التشاؤم أكثر عن المسرحية السابقة ، فيموت الطفل وهو فى الرابعة من عمره ويتحول سريره إلى نعش ويختنق الحب فى صدور شخصيات المسرحية وتفشل البطلة فى الانتحار بعد موت زوجها بسبب تدخل البوليس والغرض من الإنتحار لم يكن بهدف البقاء بجانب شريك حياتها ولا للوصول للفردوس بل بسبب خيبة أملها التامة .
أما مسرحية «الشمس فى بيت النمل» فهى هجاء سياسى بعيداً عن المسائل الميتافزيقية التى شغلت جالا فى المسرحيتين السابقتين ، فالإيمان السياسى هنا أشد قوة وفعالية . يقدم جالا شخصية عملاقة تدعى جيلفر جاءت لتحرير الشعب من قمع وتسلط حكومة الملك وبالفعل يستطيع أن يحقق لهذا البلد التقدم والإزدهار والسعادة ويخلق منه ثواراً ، ويخاف الملك من تأثير جيلفر فيصدر مرسوما ملكيا بإغتياله ولكن لم يستطع قتل الأمل الذى تركه جيلفر فى الشعب الذى استطاع أن يقضى على الملكية ، وتكافح الملكة من أجل تحقيق الحب والحرية فها هى تقع فى حب شخص جمهورى - هو الممثل الوحيد لحزب سياسى ويرمز هنا لمعارضة غير موجودة - جعلها تحس بتقدم سنها وعدم قدرتها على الإنجاب . يموت الحبيب ولكن موته يجعل الملكة أكثر إصراراً فى محاولتها لإقامة عالم أفضل فتغادر المدينة ويتبعها الجميع وتترك الملك وحيداً .

وفى أعماله التى تعتمد على التاريخ مثل «خاتمان من أجل سيدة» التى يكمن سر نجاحها وشعبيتها فى محنة الحب المستحيل وفى صرخة البطلة

خيـمينا من أجل الحرية والبـحث عن السعادة بعـد موت زوجها "السـيد" وحبها لمينايا ابن أخيه ، وعليـه فهى ترفض الحل المنافق الذى اقترحه الملك الفونسـو السادس بأن تظل أرمله للسيـد وفى نفس الوقت تعيش حبـها مع مينايا بعيداً عن أعين الناس . وعندما تجهض مـحاولتها لمقاومة السلطة من ناحيـة ، وتخاذل الحبيب من ناحـية أخرى ، تقـبل برضاها أن تظل أرملة للسيد . وتمثل خيمينا فى هذه المسرحـية إسبانيا التى تريد أن تتجدد وتتطور ، والملك شـخصية انتهازية لا يريد تحطيم الأسطورة السياسية لأنه هو المستفيد الأول منهـا ، ويمثل الكنيسـة الأسـقف خيـروينمو الذى يبـحث عن المال والجاه بالتزلف للملـك الذى لـم يستطع هو وجنود السيد الأوفياء مـقاومة القـوات العـربيـة التى كانت تهـــاجم مدينة فـالنسـيـا ولـم يؤثر هذا فى خيـمينا ولم يحرك لهـا ساكنا لأنها بقيـت حبيسـة فى دير «سان بدرو دى جرانا» مع جثمان السيـد . يبدو أن جالا يريد أن يقول هنا أن نظام فرانكو لن ينتهى بموتـه وأن إمكانية تحديث اسـبانيا سـتفشل أمـام الكسل والنفاق والخوف والمصالح الشخصية .

أما نغمة مسـرحية «لماذا تجرى يا أوليسيس» فجاءت أقل خفة عن «خاتمان من أجل سيـدة» ولكن تحطيم اسطورة البطل العسكرى جـاءت متشـابهة ، ففى مسرحـية جالا يمثل وفاء بينولوبى أمام هجر أوليـسيس اسطورة ، فها هو يهجر زوجته وابنته دون أن يدرى السـبب الحقيقى للحرب الذى سيشارك فيها ولا يهمه كثيـرا أن يعرف ، ذهب إلى الحرب من قبيل الأنانية ويحتج لأن زوجته ليـست ودوداً وتنهره دائماً ولكن بينولوبى تؤكد له أنه سـيسمع بأذنيه شكوى الـنساء والزوجات والأبناء التي حـمل رجالهم إلى المشـاركة والحرب .

وهناك مسرحية أخرى تتناول مرحلة من تاريخ إسبانيا ترجع إلى القرن السادس عشر وهى «الأعواد المتدلية من الأشجار» ويلاحظ فى هذه المسرحية أنها تخلو من روح الفكاهة السائدة في أعمال جالا فهى تبدأ وتنتهى بأحداث دامية وتدور أحداثها فى جو يسوده القمع السياسى والتعصب الدينى حيث ينقسم الشعب إلى قسمين : الأغنياء والفقراء ، المنتصرين والمهزومين ، المسيحيين الإسبان واليهود المستنصرين ، أعضاء محاكم التفتيش واتباع المذهب الإشراقى الهرطوقى . وفي المسرحية يصل العمدة الونسو إلى كرسى الحكم بعد أن خان والده الذى استولى على ممتلكات وأراضى أحد الاشراف بعد أن أبلغ عنه السلطات . ويهرب لاثارو - ابن ذلك الشريف - لأنه أحب أولايا اليهودية ويعود بعد فترة فيجد الشعب يعانى من آثار حرب أهلية ويكلمهم عن الحب وعن حياة أفضل ويحكى لهم الفظاعات التى ارتكبها الإسبان مع الهنود . تقوم أولايا بقتل حبيبها حتى تجنبه موتا فظيعا على يد العمدة وأنصاره ، وفي الوقت الذى كانت تحاول فيه الهروب لتحقيق أمنيات ومبادئ لاثارو تقع فى قبضة أنصار العمدة . ولم تستطيع الإفلات من ثأره وبطشه .

أما إسبانيا المعاصرة فقد تناولها انطونيو جالا في عدة أعمال أهمها «الأيام الحلوة الضائعة» التى تدور أحداثها فى مصلى قديم . بكنيسة يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر ولكنها تحولت إلى صالون حلاقة المقاعد البلاستيكية والخشبية والسلع الكهربائية يعيش فى هذا المصلى ثلاث شخصيات . كونسويليتو ، امرأة ظريفة تهرب دائماً فى ذكرياتها الطفولية وأحلامها الوردية ، كليوفاس زوج كونسويلتيو ، رجل طيب ولكن عديم الفائدة شغل عدة مهن : خادم كنيسة ، حلاق ومدرس لغة لاتينية ، اورتينسيا والدة كليوفاس ، امرأة متسلطة ، مادية ومنافقة . تقوم اورتنسيا

بشراء عدد هائل من الأجهزة الكهربائية المعمرة بالتقسيط وتقوم بسداد ثمنها من دخل الابرشية التى تقوم بسرقـتها دون أن يدرى الابراشى ريميخيو لأنه طاعن فى السن . يصل إلى هذا المكان لوريتو حـاملاً رسـالة أمل ولكن اثبت أنه لص يفوق أوتنسـيا فيـقوم ببيع الأجـراس وسرقة أموال أورتنسـيا ويخدع كـونسويليتو ويـتركها حـاملا . يكتفى كليـوفاس بطرده من المنزل ويحاول أن يرسى حيـاة جديدة شريفة ولكن بعد فـوات الأوان لأن زوجته تصعد إلى برج الأجراس وتلقى بنفسهـا وهى بذلك لا تقتل نفسها فقط بل الطفل الموجود فى أحشائها الذى يرمز للأمل .

وفى مسـرحية «حظ سـعيد أيهـا البطل» يبحث فـيكتور وكارمـيلا عن ماضيهما ، يقوم فيكتور بنزع الحلى والشعر المستعار وكل أدوات الزينة التى تضعها كارميلا لكى تجد من جديد ذاتها الحـقيقية عندما كانت فتاة بريئة فى الثامنة عـشر من عمرها وعندمـا كان هو الفتى المثـالى . عند الحديث عن حكاياتهما لا يذكـران فقط نهاية فترة خطوبتـهما وموت أحلامـهما والمرارة وخيـبة الأمل بل أيضاً تطـور البلد بأكمله من وجهـة نظر نقدية . تقـسيم الشعب الإسـبانى إلى فـريقين ، الفقر المـدقع الذى يعانى منه الكثـير أثناء السنوات الأولى من فترة مـا بعد الحرب الأهلية الإسـبانية ، استغـلال طبقة العمـال استـغلالاً بينا ، حركـة سيـاحة ، المجتـمع الاستـهلاكى ، بطش الرأسمالية . فى نهـاية المسرحية يعلن عن موت فيكتور بسبـب سوء تشييد المخزن الذى كـان يعمل فـيه كـرئيس لقسم الأدوات الكهـربائية ، وظيـفة حصل عليها بسبب تدخل كارميلا .

وفى مسرحـية «آنسة الفردوس العـجوز» تنتظر البطلة اديلايدا عاشـقها الوهمى أربعين سنة فى مقـهى ولم يحضر وتتكلم عن مجـتمع يستطيع أن

يحقق فيه الناس الحب والحرية ولكنها تفشل لأن خصمها الرأسمالى الأمريكى مستر استون المالك الجديد للمقهى فرر أن يشيد مصنعا للأسلحة فى نفس المكان ويساعده على القيام بذلك العمدة ورجال السلطة . على الرغم من أن الكثير من السكان يساندون البطلة إلا أنها اكتشفت أن أسلحتها (الطيبة والسعادة والحب والذكاء والوفاء) ليست كافية أمام عيوب السلطة المجردة من الإنسانية وأمام الماديات . تموت حبيبة فى المقهى ولكن رسالتها لم تمت بل امتدت إلى عازف الجيتار والخادمة وابن العمدة .

وتقدم لنا مسرحية «بيترا المهداء» تعليقاً شديد الوضوح حول نهاية نظام الجنرال فرانثيسكو فرانكو السياسى والأخطار السياسية لفترة ما بعد فرانكو .

نوفمبر وقليل من العشب

عرضت هذه المسرحية على مسرح ارلكين بمدريد فى الرابع عشر من ديسمبر عام ١٩٦٧ وعلى الرغم من شهرة الممثلين والمخرج وحماس كبار النقاد لها إلا أنها لم تحقق نجاحاً جماهيرياً وقد أعزى بعض النقاد هذا الفشل إلى أن بناء المسرحية الدرامى جاء طليعياً أكثر منه طبيعياً وأن موضوعها هو رؤية فظة للعيوب المستمرة للحرب الأهلية وأن الجمهور لم يكن مستعداً لمشاهدة تعليقات عن المدحورين من جراء الحرب الأهلية التى قدمها جالا فى هذه المسرحية بلا تزييف وبلا رفق .

تنقسم خشبة المسرح إلى جزئين : الجزء العلوى حيث يوجد مقصف صغير بمحطة سكة حديد تديره باولا ويتردد عليه توماس الذى يعمل فى محطة السكة الحديد ويحاول أن يقيم علاقة غرامية مع باولا عن طريق كتابة خطابات غرامية لها ، والجزء السفلى تعيش فيه أم باولا التى فقدت عقلها بسبب الحرب وتحاول أن توجد ماضيا لم تعشه بالفعل لتنسى الفشل

والاحباط الشديد الذى عانت منه ، وديجو ، زوج باولا ، الذى يعيش فى هذا المكان منذ ٢٧ سنة دون أن يرى النور نظراً لأنه كان من الجنود الجمهوريين ويخاف أن يظهر فيقع فى قبضة أنصار فرانكو ويعانى من بطشهم ، تحاول باولا - هى الوحيدة التى تتصل بمن يعيشون أعلى وبمن يعيشون أسفل - وديجو تذكر الماضى الجميل عن طريق مشاهد تبدو أحيانا طفولية ويذكران أيضاً هجرة أولادهم الثلاثة إلى الخارج بحثاً عن الرزق نظراً لعدم الحصول عليه فى بلدهم . فى ليلة ما يسمعان فى المذياع العفو السياسى الذى أصدره الجنرال فرانثيسكو فرانكو فى الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٦٦ عمن شاركوا فى الحرب الأهلية فيقرر ديجو أن يذهب ليسلم نفسه للسلطات ويحصل على العفو وبهذا يعيش مع «أهل القمة» ولكن لحظة العاثر تتزلج قدمه وهو يصعد السلم ومعه بندقية فيقع وتخرج الطلقة التى كانت فى البندقية لتقتله . واضح أن جالا يريد أن يقول إن عفوا سياسيا لا يكفى لتغيير واقع أسبانيا ولن يسمح للمهزومين بالدخول فى عالم جديد .

شخصيات المسرحية لا ينتمون إلى البرجوازية العليا ولا يعيشون فى شقق فاخرة بل يعيشون فى عالم من المستحيل الهروب منه ومن النتائج الفسيولوجية والنفسية والسياسية للحرب . الكل يعيش فى سجن وإن اختلفت الأسباب ويمكن القول بأن جالا يشير إلى الشحن الداخلى الذى كان يعيش فيه أغلب الشعب الأسبانى فى ذلك الوقت وبذهاب أبناء باولا وديجو إلى الخارج يريد أن يشير إلى هجرة أغلب كتاب ومثقفى أسبانيا إلى دول أمريكا اللاتينية وبعض الدول الأوربية بعد سقوط الجمهورية وسيطرة فرانكو وأعوانه على مقاليد الحكم فى إسبانيا . قد يرى جالا أن إسبانيا كلها عبارة عن مقصف لايمكن العيش فيه بالفعل بصورة مشرفة وكريمة .

غيرت الحرب كل شئ وتركت للشخصيات بعض الذكريات الجميلة ولا أكثر من ذلك . لا يستطيع توماس أن ينسى المعركة التى خسر فيها ساقه ، باولا تتذكر فترة السعادة والعشق وهى فى الثامنة عشر من عمرها ومن بعدها تعتبر نفسها ميتة وأن الشئ الوحيد الذى حفر فى ذاكرتها هو القصف الذى أدى إلى جنون أمها وهدم بيتها وحديقتها ، تقوم الأم بتكرار بعض الأشعار الذى استوحاها جالا من التراث الشعبى الأسبانى والتى تتكلم عن الحب والموت وخاصة الموت فى الحروب وقد جاءت دائما مناسبة لأحداث المسرحية ويرى بعض النقاد أنها شخصية مزيفة وأنها تقليد لشخصية خوسيفه فى مسرحية «بيت برناردا البا» لشاعر إسبانيا العظيم فيدريكو جارثيا لوركا ولكن هناك بلا شك اختلافات بين الشخصيتين .

ذهب بعض النقاد إلى أنه لا توجد أحداث درامية فى هذه المسرحية ولا تطور سيكولوجى لبعض الشخصيات حيث لا يفهم بعضهم السبب الذى جعل الطلقة تبقى فى بندقية ديجو ، وقال البعض الآخر انه لا يجد فى باولا وديجو حقيقة إنسانية فلا يمكن أن يعيشا على مدى ثلاثين عاما على مجرد ذكريات تفوق واقعهما الاجتماعى والسياسى . يمكن القول بأن هؤلاء النقاد لم يضعوا فى الاعتبار أن جالا عندما بدأ يكتب هذه المسرحية وهو فى الولايات المتحدة الأمريكية سمع بخروج رجل من مقاطعة استورياس بشمال إسبانيا من مخبئة بعد ثلاثين سنة وتم الإعلان أيضاً عن حالات مشابهة فى بعض مدن الأندلس وبالتحديد فى ماربيا وقادش ، ومن هنا نستطيع أن نثبت أن حكاية ديجو مأخوذة من الواقع الأسبانى فى تلك الفترة وأن هذه المسرحية من أهم الأعمال التى عبرت عن عقلية الإسبان المدمرة من جراء الحرب الأهلية وأنها عالجت بطريقة مباشرة تأثير الحرب على الشعب الإسبانى .

جـدير بالذكـر أن هذا الموضوع شـغل بال العـديد من كـتاب المسـرح الأسبـانى حيث نجده فى مسـرحية «المنور» لكاتب إسـبانيا الكبيـر انطونيو بويرو باييخو وفى مسرحية «نينيتى وسيدمن مـرسيه» لميجيل ميورا ومسرحية «السور» لخواكين كالبـو سوتيلو ، ومسرحية «فتـاة القبعة الوردية» و « ربيع فى ميدان باريس» لفيكتور رويث اريارتى .

"نوفمبر وقليل من العشب"

شخصيات المسرحية

- باولا	- Paula
- توماس	- Tomás
- الأم	- Lamadre
- دييجو	- Diego

المشهد

تقسم خشبة المسرح عرضياً . الجزى العلوى عبارة عن مقصف مقوض الأطراف بمحطة سكة حديد . باب ونافذة . أرفف قديمة خاوية تماماً . منضدة صغيرة . كرسيان من البوط .

الشئ الوحيد الذى يربط الجزء السفلى بالعلوى هو باب أرضى يفتح لأعلى . يجب أن يعطى انطباع خانق لمكان مدفون . مائدة ، ادراج ، طهاية صغيرة وبعض الأوانى . يوجد فى الركن الأيمن ستارة تخبئ نصف السرير حيث تنام أو تأوى وعلى اليسار ستارة أخرى ممزقة أو حاجز متواضع يفصل سرير دييجو وباولا .

يلصق بالباب الأرضى سلم ضعيف تم إصلاحه ألف مرة يسمح بالصعود عليه عند فتح الباب .

الفصل الأول

باولا : (تدخل المقصف وتترك الشنطة الكبيرة الموجودة معها على المنضدة) آه ، أكاد أن أختنق ، أكاد أن أختنق ، أكاد أن أختنق .

توماس : (جالس ، يطوى الجريدة التى كان يقرأها.) أنا فى انتظارك منذ الساعة السادسة بالضبط .

باولا : لقد ذهبت دون أن يطلب منك ذلك . لست قناصة محترفة آتى مثل الحمارة وعلاوة على ذلك بسرعة . . . (تخرج بعض الأشياء من الشنطة.) الكونياك والشريط اللاصق الذى يجب أن تضعه على فمك . . . أحد عشر دورو (*) (يذهب توماس لأخذ الزجاجة والشريط) أحد عشر دورو! بدون أجرة النقل . يالها من ضربة شمس ! (يعطيها توماس النقود) كم سيجعلنا بواسل شهر أبريل . . .

توماس : هذا الكونياك . . .

باولا : وماذا بهذا الكونياك ؟ لم يكن هناك نوع آخر . لماذا لم تذهب أنت ؟

توماس : ومن كان سيحول الطريق للقطار السريع ؟

باولا : آه ! من الحواجز . تعتقد أنك سُرة العالم . . . كما لو كان أى قطار لكى يمر فى حاجة لأن تفصل له الحواجز . (تضع شيئا على الرف) .

توماس : وماذا عن سائقى السيارات ؟

باولا : هل رأيت فى حياتك سيارة تسير على طريق المعيز هذا ؟ هيا اسكت وانصرف .

---

* عملة أسبانية تعادل خمس بزيتات .

صوت الأم : (مختبئة وراء الستارة ، من أسفل) ديونيسيو !

توماس : طوال المساء وهى على هذا الحال .

باولا : لقد تركتها تتسلى بعلبة شرائطها (نحو اسفل) سأحضر يا أماه .

توماس : على من تنادى ؟

باولا : علىَّ

توماس : ولماذا تسميك ديونيسيو ؟

باولا : لأن هذا يعجبها وعلى أية حال فهى أمى . (تستمر فى تنظيف شئ.)

توماس : باولا ! (وقفة) باولا !

باولا : (تعود وتفزع توماس) لقد ضاق بى . ستقضون على اسمى وأيضاً على حياتى طوال اليوم نفس الشئ : حمل الأشياء . باولا ، باولا ، وماذا ؟ !!!

توماس : اعطنى كأسا لكى أحتسى الكونياك يا امرأة .

باولا : شئ مثل قبعة مصارع الثيران . هذا ما سأعطيه لك . تمتلكونى تماماً ، من هم هنا ومن هم أسفل . صباح مساء ، كالدجاجة الرومية من الجحر إلى المعبد : أخدم هذا وأسلى ذلك . . . (تصرخ.)

توماس : كفى ، فعندما تنطلقين كالعيار . . .

باولا : سأوجة إليكم طلقة حاسمة أيها المحاربون فكلكم سواء : الأزواج ، الأباء ، الأبناء وحراس المزلقانات .

توماس : وماذا تعرفين أنت عن الرجال ؟ !

باولا : لو أنك الرجل الوحيد ، أموت قبل أن أكون لك ، بعلبة الفلفل الأحمر الموجودة فوق الصلعة . . .

توماس : يا لقلة احترام الزى الرسمى !

باولا : الزى الرسمى ! كما لو كنت ارتدى أنا كالغواص . أنت رئيسا للمحطة لا أكثر ؟ وهل هذه محطة ؟ حارس مزلقان ما هو إلا إنسان ضعيف ولكن يا لهوس العظمة ! وكلما تقدم بك العمر ستصبح كالقربة أنت إنسان حزين جداً لأنك تريد ذلك وتريد أن تجعلنى مثلك . . .

هذا للزرازير ، للسحالى ، فهى الأشياء الموجودة هنا . . . الزى الرسمى !

توماس : لقد ارتديتها فى الحرب ، ماذا تريدين ؟ لا يروق لى أن ارتدى زى أهل البلد ، فهذا الزى أضمن . ينظر القرد إلى المرآة ويقال : «يوجد كثيرون آخرون بنفس هذا الجلد» ويستريح . بما أننى كنت شاويشا فى آونة أخرى . . .

باولا : كنت شاويشا ، أليس كذلك ؟ ومتى تمت ترقيتك ؟ أرنى الدليل يا رجل لأنك حتى الأمس كنت تقول إنك كنت عريفاً وعندما وصلت إلى هنا منذ ستة وعشرين عاما كنت جنديا أكثر بساطة عن ليلة من ليالى شهر أغسطس . آه من الأشياء التى تخترعها الناس . . .

توماس : حسنا ، وماذا ؟ هل ضايقت أحدا ؟

باولا : ضايقتنى أنا ، يبدو أنك تريد أن تصل لرتبة جنرال . . . إلام ترمى ؟

توماس : ولو لم أكن رقيباً فمن أين كنت أتيت بهذه الأشرطة ؟

باولا : أما هذا فلا يا توماس . أنت تعتد بنفسك ولكن لا تعتقد أننى

ملحاحة ثقيلة ، فهذه الشرائط احضرتها لك من القرية والبدلة السوداء اشـتريتهـا لك من كونشا زوجة نـائب مجلس البلدية الذى مات أثناء العـمل كما تقـول هى ، علماً بأن كل الناس تعرف أنه انكسر عنقه عندما أغمى عليه وهو يجمع البرقوق . رأيت فى حياتى شـعباً بضحايا حرب مـثل أخت خيرتوريس التى قـتلها اليـساريون . نعم اليـساريون . . . وماتت عـندما كانت تجهض قليلة الحياء . . .

توماس : ولكنها حملت من أحد اليساريين .

باولا : لنرى ذلك . لقـد اختلفت الآراء حول هذا ! أفـضل يوم هو الذى يجعلنى أقول أننى «فارس مشوه» .

توماس : يجب أن يعطيك مزيداً من الاحترام .

باولا : إلى أى شئ ؟ إلى الحـرب ؟ لقد ذهبت الحـرب بكل شئ . الحرب !

(تنظر حولها.) كيف كانت . . . هذه المحطة يا إلهى ، يا للروعة ! بأرصفتـها بحوائطها المزينة ، بنعناعها ومـدخل ومخرج . . . وموظفون لطفاء : «من فضلك اعطنى فنجان قـهوة ، من فضلك طبق حلويات ، من فضلك هذه القطعة وتلك» وكانت الرفـوف مليئة بالبـضائع على آخرها . . . . يالها من سعادة يا سيدى ! كان عمرى وقتها لا يصل إلى ثمانية عشـر عاماً . ثمانى عشرة أعجـوبة كما يقال دائمـاً . وعشب الحـبق فى مكان مماثل . (تلمس رأسـها) كنت أقف على الرصيف وأوقف القطارات السريعة التى لم يكن من المفروض أن تقف . (تجلس) هنا كنا نزرع أنا وأمى الحديقة وكنا

نقـوم بإعداد السلـطة فى الظل يوما بـعد يوم . لم أعـد آكل سلطة بكثير من الفلفل والطمـاطم والخيار والزيت والخل وكل الأشياء . (تنهض) وفجأة حدث القصف وعليه لم يبق أى شئ واقفا ولا حتى الخس أتذكر أننى كـنت أذهب وقتها إلى النهر لغسل ملابـسى ورأسى ، أضع مسحوق الغـسيل فى الجردل وأحركـه وأحركه . كنت أغنـــى وأحـرك الرغـاوى ووقعت أول قنبلة داخل الـدلو . يا للمـهـارة فى الرمـاية يا سـيـدى اعتقدت فى البداية أنها قاطرة وقلت لنفسى «ياله من شئ نادر ، لقد مرّ القطار السريع اليوم مبكراً مع أنه يأتى دائماً فى موعده» نعم ، نعم . . . القطار السريع . . . أكـثر من أربعين قنبلة . سلطة عظيمـة . جئت أجرى والصابون فى عينى الـلتين كانتا تؤلمانى منذ شهر وعندما تمكنت من فتحهما لم أجد شيئا : لم يتبق أى شئ . ومن الربوة رأيت منزلى الذى أصبح عبارة عن كوم مـن الأنقاض ورأيت قليل من الدخـان وإنسانة مـجنونة جالسة فوق الأنقاض .

صوت الأم : ديونيسيو !

بـــــــاولا : ها هى كـما ترى مـثل الطفل الرضـيع ، أصـبحت مـجنونة ضائعـة بسبب قصف القنـابل ولم تعد إلى حالاتهـا الطبيعـية . . . الحرب . . . وبعـد انتهـاء الحرب قـاموا بإنشاء مـحطة أخرى بجانب الـقرية : الشئ الطبيعى . قـدموا لى الدكان ، نعم يا سيدى ولكن هذا مـا كان ملكى : ترابى ، أنقاضى ، أعمدة سريرى التى هُشمت . . . . ظـللت حارسة مزلقان إلى

أن جئت أنت وحصلت عليها بدون استحقاق وبحبك للقلنسوة الملونة. ولهذا أقول لك أن الحرب بالنسبة لى . . . سكان القرية ، كل الأمسيات . ودون روفينو راعى الكنسية الذى كان يتجول وهو يحمل كتابا تحت إبطه دون أن يفتحه ، كان يحتسى خمره مجانا ويعود . والرقص تحت العريش عند حلول شهر مارس ، والنساء اللاتى كانت تقرأ أمى لهن الكوتشينة . لقد كانت حياة جميلة . ،كما ترى الآن يالها من رسائل . . .

توماس : لقد أحضرت لك رسالة (يعطيها لها.)

باولا : من مَن ؟

توماس : اقرأيها بعد ذلك .

باولا : حسنا . لقد دندنت عندما رأيتك . (تبحث عن كأس) .

توماس : (يعود للموضوع.) إن الحرب شئ للرجال كما هو معروف .

باولا : إن الحرب شيء للحيوانات . بالحوار يتفاهم الناس وليس بضربات القنابل بدون سبب أو أساس .

توماس : ولكن من قام بضرب القنابل هنا ؟ هل نحن أم الآخرون ؟

باولا : أناس كانوا يمرون طائرين ، ماذا أعرف ! لقد كنت أغسل شعرى وأغنى . الشئ الوحيد الذى كنت أعرفه هو أن نبات الطماطم كان لى وأن المحطة للناس أجمعين وأنهم حرقوا القمح . هل يمكنك أن تقول لى أنه كان من حق أحد أن يحرق القمح ؟ (تضرب بالكأس فوق المنضدة.) كأسك .

توماس : وخذى أنت كأسا آخر .

باولا : حقا ؟ (تنعب لتاخذه) هذا ما ينقص امرأة لم تصل لسن الأربعين .

توماس : يبدو إنك تبلغين من العمر عشرين .

باولا : نعم عشرون ولكنها مضاعفة .

توماس : عندما عرفتك كنت مستقيمة كالعود لدرجة إنه كان يروق لى رؤيتك . كم كان هناك فتيات يتمنين جسد مثل جسدك المرصوص .

باولا : هيا يا فضولى ، كفى . فتيات ، لا أعرف ولكن حارس مزلقان نعم كان يريد مثل هذا الجسد . (يتنهد توماس) من الأفضل أن تحترم ذكرى زوجتك كارمن أيها الأرمل . لم يمر عام واحد على رحيلها وها أنت كالكلب تجرى وراء النساء . كل الرجال شهوانيون إلى أن يثبت العكس والعُرّج أيضاً حتى ولو ثبت غير ذلك .

توماس : كأس آخر يا سليطة اللسان لأنه يمر اليوم عشرون عاما (يصب).

باولا : على ماذا ؟

توماس : على عرجى .

باولا : (بنغمة مختلفة) أى ، حقا يا توماس ، وإنما أنسى هذا . (تشرب النخب) اتمنى أن تحتفل بهذه المناسبة سنوات طويلة يا رجل .

توماس : وأن نكون بصحة جيدة .

باولا : وانظر أنت أيضاً أن الاحتفال بذكرى سنوية مشابهة . . . (تمشى وتتظاهر بالعرج) .

توماس : هذا شئ مجيد يا باولا ، شئ مجيد .

باولا : إن كان المجد كله سيظل مع الساق المشدودة فنحن على

استعداد .

توماس : يالهـا من طريقة للحـديث مع مصـاب حرب ، هكـذا حال أسبانيا .

باولا : مصاب حـرب ، يا لألم الإبن ! أثر جرح وعلاجـه . يتعود الإنسان على المشى بدون أشياء كـثيرة . . . لم يكن عليك أن يكون لك ساقين لكى تطلق الصـواريخ . ولكن ، أنا . . . نعم كنت غنية والآن كما ترى : عزباء حرب . أننى أموت ، لا أريد أن أتكلم . سبـع وعشرون سنة وأنا عـانس حرب . لقد تركتنا القسوة عُرج كل واحدة بساق واحدة . أنت ساقك اليمنى وأنا ساق الوسط . ياله من حزن شديد !

توماس : تريدين أن تثبتى أنك الضحيـة . يروق لى أن أعرف من أين جاء أولادك الثلاثة يا عزباء الحرب .

باولا : هل تريد حقا معرفة ذلك ؟

توماس : وقحة ! (يقترب)

باولا : لا تلاطفنى أكثر من هنا يا ذكر الحمام لأننى لست ملكاً لأحد .

توماس : لأنك تريدين ذلك .

باولا : فلنر من يستطيع أن يضع اسم رجل بجانب اسـمى علما بأن هذه القرية تعيش على الإفتراءات .

توماس : قد يكون غريب أو ثلاثة أغراب أيتها الغامضة . . . . وهل لا يطلب منك الجسد الحرب الآن فى فصل الربيع ؟

باولا : وليعطى للفقير فتات من الخبز . حرب مرة أخرى ؟ لا تقترب .

توماس : من شخص ما أنجبت الأبناء ؟ هذا ما أعتقده .

باولا : لا يا سيدى فقد انجبتهم وحدى فأنا امرأة كبرى . سأصفعك ! لأن المرأة عندما تنجب طفلا من حين لآخر يعتقد الناس أن من حقهم أن يتدخلوا . . . ولكن يالهم من رجال حقراء أيتها العذراء ! دعنى وشأنى أغسل قاذورة الموتى الأربعة من الجوع الذين يمرون من هنا . لم أكن لأحد ولكنى خدمت الجميع كما يجب فى المقصف : أول من طلب منى كشتبان فانيليا ، أول من طلب منى جرعة عرق . خدمت الجميع كالشمس . كل صباح ، أرعى حبقى وأخدم الناس . كنت أكثر سعادة من العالم . (تقترب من الحوض ويبدو عليها الحزن) .

توماس : احتسى كأسا آخر وستنسين كل شئ .

باولا : لا أريد أن أنسى يا توماس . إذا كان ما يهمنى هو ألا أنسى ولا أملك حتى مقصفا فى ركن وزبائن عاديين وهذا هو أضعف الإيمان . . . زرع فى وسط أرض بور يستمد مياهه من الوعاء كالنعاج . كنت أبيع لركاب قطارات نقل البريد ويا لقبح الناس عندما يسافرون فى قطارات البريد ، يصبحون كالفحم الناعم أو أننى لست أدرى ولكنهم قبحاء . يبدو عليهم الحزن كأنهم يذهبون لدفن أبائهم . وأناس يمرون عرضاً بما أنهم لن يروك مرة أخرى فلا يعطوك بقشيشاً . مع السرعة . . . لو أن قطاراً وقف هنا دقيقة فهذا هو غاية المراد . . .

توماس : فى بعض الأحيان أتأخر فى السماح له بالتحرك .

باولا : ولكنك لا تفعل هذا من أجلى لأنى علمت ما بباطنك : تفعله من باب التفاخر .

توماس : هذا يعجبك يا داهية فلو لم يكن كذلك لكنت نقلتى مكان عملك .

باولا : أما هذا فلا . لقد ولدت هنا وسأظل هنا . لقد ولدت أولادى هنا ومن هنا تركونى . لا أريد قرى . . . لن يستطيعون إخراجى من هذه الضيعة إلا بالقوة وبإذن الله سيتأخرون . لديك الحق كل الحق . الإحساس بمرور القطارات ، الإحساس بأن الآخرين يتحركون من مكان لآخر شئ غير مريح . رؤية الحياة تمر أمام هذا الباب ، شم رائحة الدخان الذى يحك الحناجر كاللوز المر . والنور . . . (تفكر) هناك من هو أسوأ . هناك من هو أسوأ بكثير . الآن أدعوك أنا . هيا تشرب من كونياكى (تخرج من الشنطة زجاجة أخرى) .

توماس : آه ، أذن اشتريتها لك وحدك . . .

باولا : احتفل اليوم أنا أيضاً بذكرى سنوية .

توماس : أيتها الغامضة . . .

باولا : اهدأ فستذهب بعد ذلك لشراء الخبز (فى صحتك) فى صحة الساق التى تركوها لك سليمة .

توماس : (بصوت خفيض) لا ، سنشرب أولا نخب الساق الأخرى (يثنى يده وبها الكأس نحو الساق اليمنى) .

باولا : آه ! ولكن هل تشرب وحدها ؟ ماذا تفعل ؟ (يترك توماس الكأس ، يشمر البنطلون ويضع الشريط اللاصق ...)

توماس : أضع لنفسى الشريط اللاصق .

باولا : يا لسكرك الأحمق يا بنى . لقد وضعته على الساق التى بها

العصا !

توماس : أعرف ذلك ولكنها جيدة جداً . لقد رافقتنى كثيرا ومن حين لآخر أتظاهر بأنها تؤلمنى لكى لا تقدر بأقل من الأخرى ، أليس الاثنتان لى ؟ أتظاهر كما لو كانت قربة النبيذ خدشتنى قليلا .

باولا : (تنحنى) تعال لأساعدك يا رجل . هذا شئ حسن . فالمفروض أن نلعب كلنا أو نمزق الكوتشينة . كلنا سواسية حتى فى الآلام .

توماس : (بينما تفكر باولا) لقد كان الجو شديد الحرارة وكنت أشم رائحة الأشجار . كنا نتحنى ببطء تحت أشجار الصنوبر للبحث عن العصابة وفجأة اطلقوا طلقة ، طلقتين ، سبع وعشرين طلقة .

باولا : وهذه هى وظائف الحروب ، لا تترك الحيوانات البحرية تنام القيلولة

توماس : حدث هذا فى قشتالة وهناك لا توجد حيوانات بحرية .

باولا : أو الأشخاص ، حسب علمى أنه ليس هناك أشخاص فى قشتالة.

توماس : هناك البعض ولكن الجفاف هو الغالب . . . وأنا هنا مع تعويذتى .

(يظهر صورة) قلب يقذف ناراً .

باولا : هذا شيء جميل فها هو الوضع كما ترى .

توماس : «أيها العدو إن قلب عيسى المقدس معى .»

باولا : وهل عملت القذائف حسابا لهذا ؟

توماس : أحيانا نعم وأحيانا لا ، حسب .

باولا : حسب مهارة العدو فى الرماية ، بما أن المسكينات لا يعرفن القراءة . . . (رد فعل ، تقف) كان يجب عليك أن تضع تلك التعويذة فى الركبة .

توماس : لو لم أصب فى الركبة . . . لكان فى باطنها . أحدثت صوتا مثل الغصن الجاف وبقيت هناك مزروعاً كشجرة الصنوبر .
آخر شئ رأيته كان ظل سحاب على الأرض .

باولا : وإلى أين كنت ذاهب لكى يجرحوك فى باطن الركبة ؟ طلقة ، طلقتان ، سبع وعشرون طلقة وعدت القهقرى ، أليس كذلك ؟

توماس : لأنهم . . . اقتربوا منا .

باولا : قد يكون الذى اطلق عليك الرصاص واحد من حلفائك . الحرب فوضى . فى حروب أخرى يضرب من يتكلم لغة أخرى ولكن للأسف فى حربنا . . . بما أننا نتكلم نفس اللغة . . .

توماس : بطل ، لقد كنت بطلاً .

باولا : لأنه لم يكن أمامك حل آخر . لا تكذب علىَّ فالطلقة التى فى داخلك . .

توماس : وهل علمت أن اليمام أيضاً استيقظ ؟ والدم . الدم أكثر كثافة عما كنت أعتقد ولزج . . . (يلمسها) .

باولا : (كانت متبهة ، رد فعل) أنت نعم جذاب والعدو . فلنر إن كنت تعتقد أن ما أحمله بداخلى هما قنبلتان يدويتان .

توماس : يعيش الملك كريستو (*) ! قلت هذا وأنا أقع .

باولا : يا لك من ملكى .

(*) صيحة حرب أنصار الأمير كارلوس دى بربون .

توماس : تعيش أسبانيا !

باولا : يالهـا من حسنة أسبانيا . حسنة بالحرب ، أليس كذلك ؟ تقولون كلمة الحرب بملء أفواهكم . فى الأعوام الماضية كانت حياتك بلهاء ، وإذا أردت أن تتذكر شيئا مهما يجب أن تتكلم عن جبهة ترويل (*) سأحاريكم أنا يوما بعد يوم (من عند الحوض) هذه هى حربى الآن .

توماس : لم نمر بأيام سيئة ، هذه هى الحقيقة . بالخوف والبرد أو بالحر والفزع تكونت صداقات كثيرة .

باولا : إذن فبالقليل من الصدقات سيضربون طلقة فى قفاك . لا أريد حروباً نعم فأنت بوظيفتك هنا وبزيك الرسمى . . . فعندما يصل المفتشون ويرونك ببدلة رئيس المحطة سيعدمونك رميا بالرصاص . . .

توماس : (فى حالة فزع) وهلى تعتقدين أنهم سيطلقون علىَّ الرصاص ؟

باولا : بكميات كثيرة . وبما أن المفتشين ليسوا عرج حرب . . . فإنهم مضطرون للقيام بأعمال التفتيش .

توماس : ولكن ، ومن يفهم ذلك ؟ من مضطر أن يفهم ؟ لا يستطيع أى شخص فى سن مثل سنى أن يخلع الزى الرسمى ، لقد مرت سنوات كثيرة . . . وهل تعتقدين أن المفتشين سيأتون دون سابق إنذار ؟

باولا : وهل الموت ينذر ؟

توماس : لقد عشنا سنوات عديدة بدونهم . . .

---

* يقصد بها الحرب الأهلية الأسبانية .

باولا : لأن هناك أشياء أخرى أفضل يقومون بها عن رؤية عجوز ثرثار بقبعة وراية صغيرة .

توماس : لن أخلع البدلة الرسمية .

باولا : كما تحب ولكن تبدو هكذا كالقسيس الجديد التابع للمنظمة شبه الحربية الموالية للحزب التقليدى الأسبانى . أصح من وهمك فأنت مشئوم اللهم بلغت .

توماس : (بعد لحظة غضب . يفتح جريدته.) هل ستقرأين الكوتشينة ؟

باولا : عندما أجد الوقت .

توماس : (يشير إلى الجريدة) غاضبون . . . هم فى حاجة إلى يد صلبة . لو كان الأمر بيدى لكنت أقدم المفتشين لهؤلاء الغاضبين . يا له من بلد حقير والسواح هم مصدر القلق لأنه لا يوجد هنا شئ من هذا القبيل .

باولا : (تغسل) نعم يحضر السواح القلق والنقود .

توماس : لا نستطيع أن نقيم علاقات فيما بيننا ، هذا شئ واضح . يجب أن تبقى وحدنا . إذا هاجمونا من الخارج فلنقف صفاً واحداً ولكن إن لم يكن كذلك . . . يمل الناس إذا لم يحاربوا فى كل لحظة . . .

باولا : وأنت لا تمل ، أليس كذلك ؟ خذ بالك من الإنسان . خسارة أن المسلمين قد ذهبوا . ما كنت ستستمع به فى قرطبة أو غرناطة وأنت تضرب الطلقات من البنادق القديمة . آه ، يالهم من عاميين . لن يستطيعوا وكيف يستطيعون أن يقتنعوا بأنه لم تعد هناك حرب لها قيمة .

توماس : (بتحدى) نعم ولكن من سيعيد إلى ساقى ؟

باولا : وأنا أيضاً ، من سيصنع لى خبز التين ؟ لا تجعلنى أتكلم . أكيد أن ما حدث لك هو أنك وقعت وأنت فتى من الدراجة وحدثت غنغرينا .

توماس : الشئ الذى ينقصنا هنا هو مزيد من الثقافة .

باولا : نعم وكثير من الصبر (صفير قطار) هيا فقد وصل القطار . اذهب لتضع له مفرقعات فوق القضبان . (يشرب توماس ما تبقى فى الكأس) ولا تشرب أكثر من هذا لأنه ذات يوم ستجعل القطار يدخل المقصف أيها المتهم . (يخرج توماس) طلقة فى باطن الساق الأخرى هو ما كنتم تطلبون . فلنر إذا كان هذا يجعلكم تتوقفون تماماً . آه ، يا لها من حياة . (تنشف يديها) والآن إلى الجحيم يا باولا . (تشد الباب . وهى تنزل :) .

الأم : لماذ ؟ لماذ ؟ لماذا ؟

باولا : (عندما تراها تجد جسمها كله ملئ بأناشيط وشرائط ملونة) هذا ما أراه أنا . آه ، كيف أصبحت هل هذه أم ؟ هذا محل خردوات ! (تنظم الأشياء ، تترك ما كان معها ... إلخ) .

الأم : نمت ثلاث سنوات مع زوجى فى سرير أمى . . . ولكن لم يكن يهمنى . ألم يموتا هما ؟ ألم يتركانى وحيدة ؟ هل قتلتهما أنا ؟ ماتا دون إعطاء تفسيرات . فليتعبا . . . كنت قابعة عندما كنا ننتهى . . . وضعت ساقى بين ساقيك . يا لطولك يا دونيسيو .

باولا : ربى ، فها نحن نخترع بذاءات .

الأم : (لنفسها مثلما يحدث في كل الحالات) كانت رائحة السفرجل تفوح من السرير لا كانت تفوح منك . كنت تعض أطراف رجلي . آخ ، آخ ، آخ ، مثل الجرو .

بقيــــت منـــذ صغــــــــزى
مستـــاءة من رجـــــــلي هـــــــذه
وفي موكب الآبـــاء الكرمليـــــــين
كنـــــت أتظـــــــاهر بالعـــــــرج
وإن كنت عرجاء فإني أخفي ذلك جيداً .

كان صدري عريضاً وخصري قصيرا . كنت عندما ألمسه أحس أنني ألمس الشمس ويقشعر جلدي . كـان حيا عندما كنت ألمسه . ديونيسيو . كان اسمك ديونيسيو ولم ينفعك ذلك في شئ .

بـــــــــاولا : (وهي تشرع في نزع الشرائط) يا لرأسـها . إنهـا تأتي بكلام لا يمت للموضوع بصلة . يروق لي أن أهزها وأقـول لها أن تعود وتبقى هنا ، نعم ، ولكن لماذ ؟ أفضل أن تظل في مكانها .

الأم : لم أبك عندمـا ماتت أمي لأن الجـو كان حارا جـداً ولم أبك عند وفاة زوجي نظرا لحدوث عواصف وكنت خائفة .

سانتـــا بـاربـارا المباركـــة
اسمك مكتوبٌ في السماء
بـــورق ومـــاء مقــدس
اغفر لنا يا ربنـــا ، آمـين

بـــــــــاولا : دعك من الشعر الغنائي المكرر فقد حان وقت العشاء .

(تبدأ في تجهيز العشاء . عمل تتركه أو تستأنفه حسب الحوار التالي) .

الأم : كنت ألعق شعر صــدره برقة مثلما تلعق البقرة صـغيرها

(اشارة تدل على اللعق) هكذا ، ، هكذا . كان يشدنى من ضفيرتى . . . لقد فكت لى الشريط . لقد كنت قابعة كشئ صغير بين سرتك وركبتك .

باولا : (تصيح) أماه !

الأم : (كمن اكتشف وجود شخص) هل حضرتك هنا يا سيد روفينو ؟ كان يجب على حضرتك أن تخبرنى بميعاد وصولك ؟ حتى الآن ، لا . حتى الآن ، لا . ستبلغنى حضرتك بالخبر بعد ذلك وخطاب حضرتك الأخير . الحرب تنتهى . لقد مر أسوأ ما فى الأمر ، حمداً لله . أنظر حضرتك لنقارى الشوك الموجودين فى وسط الحقول . وأنظر حضرتك للقرنفلتين الموجودتين فى الهضبة فأطولهما مكبسّة الأزهار لدرجة أنها ثنت الساق . هل ترى حضرتك جيداً ؟ (هائجة) دون روفينو . حتى الآن ، لا (لباولا التى تقترب) ستنتهى الحرب بعد غد . لم يعد هناك داع لكى يموت أحد . إن كان لا يجدى . . . لا تنظر إلى حضرتك هكذا أيها العصفور الأسود . . . . لا !!

(يطل دييجو من وراء ستارة الباب الأيسر برأسه . تهدأ الأم فجأة) .

ولم أبك أيضاً ولكن سألنى : «لولا ، ماذا ستفعلين بهذه الأيدى ؟ ماذا ستفعلين بهذا الغم ؟ من سيعض رجليك فى المساء؟» (تبكى كطفلة) .

باولا : آه يا مسكينة . إنها أكذوبة يا أماه ، فلست أنا القسيس ، لست أنا دون روفينو . أنا ابنته .

الأم : لقد كبُرت وأصبحت دميمة ويا للتجاعيد التى بك . . .

بـــــاولا : (مازحة) لكى أسمعك بطريقة أفضل .

الأم : بعينيك هالات كبيرة

بـــــاولا : لكى أراك جيداً .

الأم : وشعرك شائب .

بـــــاولا : (غاضبة) مثل حضرتك يا أماه ، مثل حضرتك .

الأم : كنت تبـوزين قبل الـبكاء وكان العم ديونيـسـيو يقـول لك : «الطفلة التى بها نمش لا يمكن أن تكون حزينة» .

بـــــاولا : أتمنى أن أكون طفلة الآن ولكن لا يمكن ، أليس كذلك يا أماه ؟

الأم : لا يمكن لأنك كنت دائماً بلهاء .

بـــــاولا : الصبر جميل . وذلك الشخص ؟

الأم : أى شخص ؟

بـــــاولا : ها أنت تعرفينه جيداً .

الأم : لا أعرف . لم أره ، لقد خرج . (بنية سيئة) لقد خرج الـيخو ابن عمى ذات يوم ليشم الهواء العليل وذلك منذ اثنين وثلاثين عاما ولا تزال زوجته تنتظره .

بـــــاولا : يا للغش . لن تقع باكورة التين .

الأم : لقد نظرت إلى بطريقة . . .

بـــــاولا : وماذا حدث الآن ؟

الأم : عُدت من الكنيـسة بعـدجنازة زوجى وأكلتينى بعيـنيك فقلت لنفسى عجباً !

بـــــاولا : يا لها من ليلة يا أماه (بالفعل اسـى الجو اعلى) ديجو ، ديـيجو ، لا تتظاهر بالصمم . أخرج (تلعب نحو الستارة اليسرى وتشدها)

انظروا : يداعب نفسه أمام المرآة . آه . يا ربي . مستشفى المجاذيب ، أراني في مستشفى المجاذيب . . .

ديجو : كنت وحدي و . . .

باولا : ونظرت إلى نفسك حتى لا تكون وحيداً ، أليس كذلك ؟ تعال . لقد أحضرت أشياء كثيرة .

ديجو : هل بعت العربات الصغيرة ؟

باولا : (مندهشة) نعم بعتها وبثمنها اشتريت أنشوجا وحلوى وخمر وكونياك سنقضي ليلة جميلة .

ديجو : هل نسيت شراء الخشب مرة أخرى ؟

باولا : أي خشب ؟

ديجو : الخشب لعمل عربات صغيرة أخرى .

باولا : آه ، حقا ، يا لها من ذاكرة . حسنا ، سيان . فهكذا تستريح عدة أيام ونفكر في طريقة جديدة . . . أليس كذلك ؟ (يطلق ديجو اشارة إذعان ويكررها كثيراً .) ماذا فعلت اليوم ؟

ديجو : غسلت أسناني .

باولا : حسنا ، وهل فعلت شئ آخر ؟

ديجو : قرأت .

باولا : هل قرأت كتاب كمبس (*) أم كتاب تعليم القراءة ؟

ديجو : الاثنان .

باولا : بما أنك تحفظ كتاب كمبس عن ظهر قلب ، يجب أن تعيده إلى دون روفينو . . .

(*) كاتب صوفي ألماني (١٣٧٩ - ١٤٧١) من أهم أعماله «تقليد المسيح» .

ديـيـــجــو : لا ! حسنا ، كما تأمرين . (اشارة طفولية) .

بـــــاولا : (متبهة) ماذا ألم بك ؟

ديـيـــجــو : (يزداد تلاشيا) لاشئ .

بـــــاولا : لقد أحدثت لى شيئاً . (تذهب وراء الستارة) لقد كسرت فرشاة الأسنان . لست أدرى كيف ستنظف أسناننا يوم السبت القادم .

ديـيـــجــو : لقد كُسرت وحدها . سهوت . . .

بـــــاولا : كم من الوقت ظللت تدعك أسنانك ؟

ديـيـــجــو : طوال الصباح تقريباً ، بما أنك لم تنزلى . . .

بـــــاولا : كان عندى عمل كثير . ذهبت إلى القرية (تفتح فم دييجو) لثتك كلها ملتهبة . يالك من حيوان . واضح أننى لا أستطيع أن أتحرك من هنا لأسفل .

ديـيـــجــو : هل ذهبت مع الرجل الذى يوجد أعلى ؟

بـــــاولا : (ذهبت لإحضار خمر) لا ، ذهبت وحدى (يخفض دييجو راسه) تعلم إننى لا أكذب عليك . كنت وحدى مثلك طوال اليوم . اشرب خمر ومضمض فمك . هل يؤلمك ؟ أفضل فهكذا تشفى لأنك حمار ولكن لا تبلعه . . .

الأم : تعال فقد أسدل الليل ستاره .

بـــــاولا : (لأمها) ها هى الشرارات الأولى . ستحدث مشاجرة . بيننا هذه الليلة لأنه كان كان حاراً جداً . . .

ديـيـــجــو : (يشير إلى الخمر) إنه جيد . اشربى (تشرب با ولا) هل تعتقدين أن أمك لم تكن على علاقة مع عمك ديونسيو ؟

بـــــاولا : يا له من شئ يبعث على الضيق (كمن يكرر شيئا) إن ديونيسيو لم يكن عمى بل هو رجل من القرية وقتلوه بعد انتهاء الحرب قبل

أربعة أيام من وصولك . لقد قلت لك ألف مرة أن أمي منذ أن أصبحت أرملة وحتى الآن وهي ترتدي فستانا أسود . كان عمري آنذاك ثلاث سنوات ، لم ترفع عينها أبدا عن الأرض .

ديـيـجـو : عجباً ، لماذا . . . ؟

بـاولا : لأنها جُنت ، أم أنك لا تعرف ذلك خلال سبع وعشرين سنة ؟ كلنا هنا مجانين (بلهجة طبيعية جداً) .

الأم : كف عن هذا يا ديونيسيو فإن الطفلة تنظر إلينا . . .

ديـيـجـو : أتسمعين ؟

بـاولا : وماذا ؟ لست أدرى إن كان كل واحد منهما يحب الآخر أم لا ولكنهما لم يتلامسا . . . بالتأكيد هذا هو سبب حالتها الحالية . بين القنابل والأشواق . . . يزيل الجنون غطاء الصناديق والصورة المظلمة التي نحملها كلنا هنا في رؤسنا . . تقال تلك الأشياء التي حلمنا بها ولم نحققها أبداً . . . لقد أحضرت اليوم شيئا .

ديـيـجـو : أرنب صغير .

بـاولا : لا ، فهل أنت تعلم أنه لا يمكن أن يعيش هنا في هذا الظلام . ألم أحضر لك أرنباً منذ سبع سنوات ؟ ومات ولم تجد بعد ذلك من يواسيك لمدة ثلاثة أشهر .

ديـيـجـو : كل الأشياء تمر كالسحاب ، كالسفن ، كالظلال . . .

بـاولا : وماذا ؟

ديـيـجـو : الأرنب لا يدوم كثيرا ، لقد قال كمبس ذلك .

بـاولا : فعلا .

ديـيـجـو : لقد مكثت عاما ونصف العام لكي أقبله من أعلى لأسفل.

باولا : وماذا فعلت حضرتك أيتها العاطلة المنحطة ؟ آه يا ربى . هذا ما يمكن أن يصدر من أناس محترمين أو بلهاء ، سيان ، أحضر رسالة .

دييجو : رسالة لى .

الأم : لى أنا . لم يمت لا يكون الحق أبداً مع القساوسة فدائما ما يرتكبون السيئات ولا يصيبون . أعطنى إياها .

باولا : يا لكما من أنانيين ، خنزيرين ، الرسالة لنا نحن الثلاثة .

دييجو : اعطنى إياها يشمها) بها رائحة أعلى . الهواء ، إنها لك . من المرسل ؟

باولا : مانويل .

الأم : يبدأ فصل الربيع
في الحادى والعشرين من مارس ،
عندما يذهب جنود القرعة
للمشاركة في الحرب .
(بنية سيئة) كان لك ثلاثة أبناء وتركوك كلهم .

باولا : وماذا ؟ إننى سعيدة إن دمى موزع هناك وها أنا هنا . لم يكن ممكنا أن أبقى مع أبنائى مثل آلأم السيد المسيح . كانوا ذكورا ، أليس كذلك ؟ إن كان لديك إناث فأحتفظى بهن أما إن كانوا ذكورا فأطلقى سراحهم . (تضحك الأم) لقد قلت لهم : «إلى الماء يا أولادى لأنكم تجيدون العوم . هيا ، تزوجوا بالألمانيات ، اجعلوا للفرنسيات كروشا ، إلى برشلونة لأن الناس تغرق هنا » .
(يرتعد صوت باولا ، تقهقه الأم) .
كما ينبغى . كما كان . دائما فى هذه القرية . فها نحن

سعداء الأطفال والعجائز والسيد روفينو . . . (عن قصد) .

الأم : (ترتعد) لا .

بــــــاولا : وللآخرين فإن لنا فى هذا الأمـر متسعا . فأنا كـثيرة الإطلال من النوافذ .

يسعدنى أنهم ذهبوا فاليوم يكتب لى مانويل .

الأم : أكذوبة عفنه .

بــــــاولا : أنظرى إلى الرسالة .

الأم :

النعــــاج يا أماه ، النعـــاج

حيث لا يوجد من يهتم بها

تهتـــــــم هـى بنفسهـــا .

اسيترون ، استعمل الحبـل

حبل إيطاليا . . .

(تضحك)

بــــــاولا : (تلتقط الأغنية)

أين تــذهب يا حبـــيـــبى

دون أن أذهـــــب أنـــــا ؟

لا يوجد مستقبل هنا يا أماه . أم إنك أنت الوحيدة التى تخدع نفسها الوحيدة التى تستطيع أن تصنع الآمال ؟ يالك من سيئة !

دييــــجـــو : لماذا لم يكتب اسمى على المظروف ؟

بــــــاولا : (فزعة) لماذا ؟ لماذا ؟ ماذا تــريد ؟ هل تريد أن يعرفـوا أن رجلاً يعيش هنا فيأتوا ويشنقوك ؟ يا رأس الخنزير ، فهكذا يكتب : «أمى العزيزة» .

دييــــجـــو : انظرى ؟

باولا : «أمى العزيزة ، أتمنى أن يصلك خطابى هذا وأنت بصحة جيدة بصحبة جدتى التى تسبب لك ازعاجا شديداً . . .» .

الأم : الورق هو الورق
والرسائل هى الرسائل
كلام الرجال
كله باطل

باولا : (متقدمة) « . . . والتى أحبها كثيرا وهى تبادلنى نفس الشعور . . . تعلمين أن الجو بارد هنا وأننى انتقلت إلى مكان بالقرب من إحدى المحطات لأنه رخيص وتمر قطارات مثلما يحدث عندكم وتسمع أصواتها بالليل ولا يمكن أن ننام مثلكم . ،وكما تعرفين أنه ممنوع هنا أكل السجق والشمام وعندما وصلت ذهب أخى دميان إلى قرية أخرى لأنه لم يكن يكسب هنا . كنت آكل الفعجة فقط رغم أنها كانت جافة ، الشئ الوفير هنا هو البرد والمطر وأن الأشجار سوداء تقريبا ويتكلم الناس بطريقة لا تفهم ويبعثوك من مكان لآخر كما لو كنت أبلها . أنا سعيد جداً . لا أعمل الآن وعليه أكتب لك لأنه عندما أشرع فى العمل مرة أخرى لن أستطيع . اننى سعيد جداً . سأكتب لك بما سيحدث . يوجد مستقبل كبير هنا وتمطر كثيراً . لايوجد تاريخ ولا آبار ولا مهرجانات شعبية دينية فى الفترة التى قضيتها . وأيضاً لا يوجد شمام أو على الأقل لم أره . لن يكون الوقت هنا بل المستقبل يا أماه . وختاما يودعك ابنك مانويل الذى يحبك كثيرا . أحر تحياتى إلى والدى .

دييجو : (باخذ منها الرسالة) لم يقل شيئا من هذا . لم يقل تقريبا شيئا مما

قرأته إلى جانب أنك لا تستطيعين القراءة بسرعة .

باولا : لكى أقرأ خطابات أولادى ، اللعنة على من كان السبب فى أميتى . ألم ألتهم أنا ؟ إذن ، أقرأ الخطابات بمجرد النظر إليها ، لست فى حاجة لقراءتها . . .

دييجو : لم يحبونى أبداً ، ولا واحد من الثلاثة . ذهبوا ولم يرسلوا لى حتى السلام .

باولا : آه ، فدائما تمسك الإناء من المكان الذى يحرق أكثر . دائما تردد نفس الكلمات : يا لظمأى ، يا لظمأى ، يا لظمأى . ويقدمون لك الماء ، أيهدئك هذا ؟ ولكنك لا تهدأ وستقول كم كنت ظمآن ، كما كنت ظمآن ، كم كنت ظمآن . هيا ، عذب نفسك . لقد ضيعت على فرحة الرسالة . . . (وهى تحفظها) حمداً لله أن لدى رسالة أخرى . هذه لى (تخرج ما أعطاه لها توماس) .

اقرأها أنت لأنك تقرأ أفضل منى بكثير . .

دييجو : «الآنسة الجميلة : من المستحيل أن أرى حضرتك ولا أحبك . . .» إنها رسالة من الشخص الذى يسكن أعلى ، أليس كذلك ؟ (تؤكد باولا) كيف يكون ؟

باولا : عجوز سمين ، أصلع وأعرج ودميم .

دييجو : لا .

باولا : إن لم تثق فى كل كلامى فلن أحكى لك أى شئ . هل تغير من توماس ؟

دييجو : لا

باولا : إنه أسير فوق مثلك أنت هنا تحت . . .

دييـــجـــو : أغـار منه . أشم فى هذا الخطاب رائحـة غرام ورائحـة ورود اللاذن .

بـــــــاولا : لا يوجد لاذن أعلى .

دييـــجـــو : لقد قلت أن أعلى ملئ باللاذن وبالصنوبر وبالخراف البيضاء .

بـــــــاولا : دائما فإنَ أعلى . . . طبقاً لتصرفك .

دييـــجـــو : وقلت أنه ملئ بالعصافير .

بـــــــاولا : قلت ذلك ولكنه ليس بصحـيح . كنت معتـدلة المزاج عندما قلت ذلك . لا يوجـد أعلى إلا التـراب والحـجـارة وأربعـة أعشاب جافة .

الأم :
من جلد الملك المسلـم
يجب أن أصنع أريكة
لكى يجلس عليهـا
القـائـــد العـــام

دييـــجـــو : والهواء ؟

بـــــــاولا : (كمن تكلم طفلا) إن الهواء سئ جـداً فبمجرد أن يلفـحك تظهر دمامل وقروح أو شلل أو يكسـر مزهرية الكومديتو . يجب أن تحتـاط كثـيرا وأنت فوق . يـجب أن تبتعـد عن النمل وعن الوهاد وعن المسـتنقـعـات . وكل هـذا يجلب الحظ السيئ ويجعـلك متوتراً جـداً . وقبل الذهاب إلى الحـقل يجب أن تشرب ثلاث جرعـات من العرق ، وهكذا (تشرب ثلاث جرعات وتضحك) .

دييـــجـــو : (يقرا) «صورة حضرتك الجميلة محفورة فى صدرى تماماً لدرجة أننى أراها فى أى مكان أذهب إليه ، فى المناظر الطبـيعية التى

تشبه حضرتك فى جمالها . . .» هل المناظر الطبيعية تشبهك ؟

باولا : نعم ، استمر

دييجو : ولكن ، أى منظر طبيعى ؟ هل هو الذى تقولينه لى عندما تكونى سعيدة أم الذى قلته لى اليوم ؟

باولا : الاثنان . أقرأ دون انقطاع .

دييجو : «عندما أسمع شقشقة العصافير يبدو لى أننى اسمع صوت حضرتك الالهى» يحبك ولكن حب الصغار دائماً خادع ومتغير .

باولا : يا للحماقة . إنه خطاب منقول من كتاب الرسائل الغرامية . أن يرسله لى للمرة الثانية . كما هو معروف أنه كتاب الرسائل يحتوى فقط على خمس عشرة رسالة فقط وعليه لم يكن أمامه سوى أن يكرره .

دييجو : «أنتظر من حضرتك كلمة واحدة فقط وأن تبرهنى على اهتمامك بقلبى . إن كنت حضرتك تحتقريتنى فسأموت ببطء كما تموت الزهرة المقطوفة حديثاً وفى كل لحظة من لحظات احتضارى سأقول : «أحب حضرتك ، أعبدك» بماذا ستردين عليه ؟

باولا : آه منك يا دييجو ، لن تكف أبدا عن سخريتك . بماذا سأرد عليه ؟ لا شئ . آلا تعلم أننى لا أملك كتاب الرد على الرسائل ؟

دييجو : فعلا .

باولا : هات (تحفظ الرسالة . تخرج رسالة مانويل مرة اخرى) نعم مانويل يحبنى فهو الذى أحبنى وقتا طويلاً .

ديـيـــجـــو : إنه أصغرهم .
بـــــــاولا : ولكنه حنون جداً .
ديـيـــجـــو : اجوستين أكثرهم جدية .
بـــــــاولا : فى خمس سنوات ذهبوا كلهم واحـداً تلو الآخر وبقينا وحدنا مرة أخرى .
الأم : ذهبوا . . . لا تذهب أنت يا ديونيـسيو اختفى أنـت وليذهبوا هم .

ذهب ما مـبرو(*) إلى الحـــرب
يا للألـم ، يا للألم ، يا للحسـرة
ذهب مامبـــــرو إلى الحـــرب
ولست أدرى إن كان سيعود أم لا .

بـــــــاولا : إن عينى دمـيان كعينيك وفم أجـوستين معوج كـفمك ولكن مانويل هو الذى يحبنى كثيرا.
ديـيـــجـــو : كان عمرى ثلاث سنوات . . .
بـــــــاولا : مَن مِن الثلاثة ؟ فكلهم كان عمرهم ثلاث سنوات .
الأم :
الأخبـــار الـــتى أحضرهــــا ،
يا للألـم ، يا للألم ، تجعلنى أقع
الأخبـــار التى أحضرهـــا ،
تعطى الإحســـاس بالبكـــاء .

---

* اسم اطلقه الأسبان على الجنرال الإنجليزى دوق مارلبورو (١٦٥٠ - ١٧٢٢) والذى لمع أثناء حرب الخلافة الأسبانية .

ديـــجـــو : مانويل . كان عمره ثلاث سنوات وكان ذات يوم يتدثر بلحاف وقلت له هل تشعر بالبرد ؟ (يقول لا برأسه مثل الطفل) بما أنى أراك بهذا اللحاف . . . لا أشعـر ببرد ، أجابنى ومنذ هذه اللحظة عرفت أنه أيضاً لا يحبنى .

الأم :
لقد مـــات مامـــــبرو
انظر حضرتك ، ياله من أعور .
لقد مـــات مامبــــرو .
وسيحملونه إلى المدافن . . .
كما لو أنه لم يكن معى أبداً فى منزلى .

ديـــجـــو : عندما قتل أجـوستين وهو فى السابعة من عمـره ديك العمدة بحـجر وجـاء يبكى لأنهم ضـربوه . . . لم أستطع الخـروج للدفاع عنه على الرغم من أنه كان ينظر إلىّ .

بـــــاولا : لأنك كنت تريد ذلك . إن الإنسـان لا يستطيع أبدا أن يفـعل كل من يريد أنهم حِسان الثلاثة . ثلاثة رجال مثل ثلاث قلاع سترى كيف سـيعودون ويفتحون لنا أذرعـتهم . نحفاء بعض الشئ ، هذا حقيقى . سنذبح خنزيرا .

ديـــجـــو : أى ذبيح ؟

بـــــاولا : سيكون ذبيحا جيداً : خـبز مجفف ، سجق ، نقانق ، دهن ملون . . . ويأكل الثـلاثة كل هذا كالفئـران . خبزة ، خـبزة أخرى ، سيأكلون كل شئ .

الأم :
انجبـــت منـــــه ابنـــا
سأجعل منه راهبـــــا

وإن لم يحلو له هـــذا
سيكون من خدم الملـك ،
حيـث مـات أبيه
يمكن أن يموت أيضـاً .

(تضحك)

(تنشد)

سـان انطـونيـو المبـارك
أطلـب منـك فقـط
أن تعطـنى الحـظ الكبـير
والـزوج الطـيب ،
لا يدخـن ولا يشـرب الخمـر
ولا يذهب إلى الحانة مع الأصدقاء .

(تبكى) سبعا وعشـرون سنة بدون تدخين ، سبع وعشرون سنة بدون شرب خـمر ، بدون الذهاب إلى الحانة يا ديونيسـيو ، دون أن أسعد بصحبتك يا ديونيسيو .

دييـجـو : لا يسألون عنى فى الرسائل .

بـاولا : الرقابة يا دييجو .

دييـجـو : لا توجد رقابة على الرسائل لأنها تأتى مغلقة .

بـاولا : توجد رقابة فقط على ما يوافقك ، أليس كذلك ؟ إذن أخرج . لماذا تستمـر سبعاً وعشريـن سنة وأنت هنا أسفل ؟ أخرج إلى الشارع ، عش يا غـبى ، عش سبـعاً وعشـرين سنة دون أن تذهب إلى الحانة . إذهب إن لم تكن هناك رقـابة . معك لا

يمكن التفاهم .

ديـيـجـو : كان يوجد فى الحانات فـجل وزيتون وكانوا يطردوننا من هناك ويطلقون علينا النار .

بـاولا : (متلذذة) لقد حدست ذلك ! (تفك حزمة ملفوفة بورق جرائد) ها هو : فجل . أى ، كيف يخشخش . وزيـتون أخضر وأسود بطعم البصل والفلفل والشمار . يا له من لذيذ ! (يأخذ دييجو الجريدة . تأخذها باولا منه) اتركها لأنها من العام الماضى . . .

ديـيـجـو : من العام الماضى . . . (بخيال) اعطنى إياها . فى بادئ الأمـر كنتم تحضرون لى الصحف . . .

بـاولا : (تشدها) وفيـما تهمك الحـماقات الـتى تحدث للأغبـياء الذى يعيشون أعلى أنها أشياء قديمة .

ديـيـجـو : الوقت ، الوقت ، ما هو الوقت ؟ هل ربما أنا الوقت ؟

بـاولا : آه ، كتاب كمبس .

ديـيـجـو : لا ، هذه المرة ، لا .

بـاولا : كان بمقدورك أن تحذر لأن المرأة لا تتطلع أبداً على حقيقة الأمر ونتائجه .

ديـيـجـو : لو كـان لدينا الإيمان لكنا استطعنا الخـروج مما نحن فـيه . إن الإيمان يحرك الجبال من مكانها .

بـاولا : أعرف أن القنبلة الذرية هى التى تحرك الجبال من مكانها وليس الإيمان من الأفضل ، أن نظل هادئين . . . هل تتذكر يا دييجو ؟

ديـيـجـو : ماذا ؟

بـاولا : عندما رحل مانويل

ديـيـجـو : كانت تمطر مطراً شديداً ، بمزاج سيئ . . .

بـــاولا : وهذه العبارة أليست أيضاً من كتاب كمبس ؟

ديـيـجـو : لا .

بـــاولا : ولا من كتاب تعليم القراءة .

ديـيـجـو : لا . إن كتـاب تعليم القراءة أفاد الثـلاثة فى المدرسة . أنظرى إليه ، بقعة الحبر هذه من اجـوستين ، هذا الطرف مزقه دميان ، هذا العنقود الموجود فى حرف «يو» رسمه مانويل .

بـــاولا : كان فنانا . وهذا الشارب لستياجو القديس ، من الذى رسمه ؟

ديـيـجـو : (بخجل) أنا .

بـــاولا : بدا لى جديداً . الشارب . . . هل تتذكـر ما قلته له ؟ هيا ، ابدأه أنت . . .

ديـيـجـو : ستذهب إلى الخارج يا مانويل . . .مانويل يا بنى . . .

بـــاولا : ستسافر إلى الخـارج يا بنى وهناك ستطلق شاربك أو يعلم الله ماذا ستفعل . ها هى وجبتك الخفيفة .

(تمثل المشهد كما لو كانت تعيشه . اشارة عصبية لنزع خيوط وهمية) .

خذ بالك فى القطار حيث أن اليوم يسافر عدد كبير ومن بينهم الحابل والنـابل . احفظ النقود جـيداً وعندمـا تنام ضعـها فى الجـيب الخلفى لـلبنطلون وعند الأكل أدع النـاس ولكن ليس بشدة لأن السـفر طويل ولا تـصور القاذورات التى يـأكلونها هناك فى الخـارج . وإلتحف جـيـداً لأن الجو بارد جـداً فى الخارج ولاتخرج بدون كوفيه . وضعت لك بكرة خيط بيضاء وأخرى سوداء تحسبا بوقـوع أى زرّ . . . أنى مليئة بالخيوط .

كيف تلتصق الخيوط بالأشياء السوداء . . . . فلتأكل يا بنى وتمضغ الأكل جيداً ، على مهل حتى تستفيد بقيمة الطعام الغذائية فأنت ، كما تعلم ، أكول جداً . . . وعندما ترى اخويك . . . لأنه فى الخارج يرى الناس بعضهم البعض ، هذا ما اعتقده . . . أعلم أنهما فى مكان آخر ولكن إن رأيتهما صدفة قل لهما أن يرسلا لنا خطابات لأننا لا نعرف شيئاً منذ ثلاث سنوات عن أحدهما ومنذ خمس سنوات عن الآخر . . . هذه الخيوط اللعينة . . . فلتكتبوا لنا يا أبناء . . . إذا أطلقت شاريك فارسل لى صورة . تصرف جيداً لكى افتخر بك ، أليس كذلك ؟ معك كل شئ ؟ خذ ، لقد تركت هذا (تنحنى وتأخذ بيدها شيئاً وهمياً) قليل من التراب ، من تراب أرضك . احمله ولا تضيعه . قبل جدتك ، ثقيلة الظل . لا تتأخر ، عُد قريباً يا مانويل ، أنت على الأقل . . . ها هو القطار ، وها هى الخيوط . . . (يتقطع صوتها) إذا وجدتنى نائمة عند عودتك فنادنى وسأسمعك حيثما أكون . مع السلامة يا مانويل .

ديجو : وهل لا تقول شيئا لوالدك ؟ (تغلق باولا فمه بيدها ولكن يتخلص منها) سأذهب من أجله، مثلما فعل اجوستين ودميان . بسببه تحملت وسكت عندما نادونى بابن . . . (تغلق باولا فمه بيدها مرة اخرى) لا أريد أن أراه مرة أخرى . لا أريد أن أعيش بجانبه أكثر . اننى أخجل منه . جبان ! (تأخذ باولا راس ديجو نحو صدرها) .

الأم : لم تعد تزهر ، فقد أزهرت .
زهرة أكليل الجبل التى ذبلت .

باولا : لا أبكى ، أنا لا أبكى . فليس لدى ما يدعو لذلك . لى ثلاثة أبناء كثلاث شموس ولى زوج أو ما يكون : بماذا يهمنى معرفة من يسمى الأشياء ولى أم على الرغم من أنها مهووسة . أى شئ أطلب أكثر ؟ هناك من لديهن أقل منى . من لديهن أقل منى بكثير . . . ولدى هذا الخبز وهذه الصينية من الأسماك المحمرة وجرة الخمر هذه . هيا إلى الأكل !

الأم : لديها فرط كبير من الفضة
وسوار كبير
وعندما يأتى المساء
لا تجد العشاء .

(ترتدى المريلة . تحاول باولا معها جاهلة حتى تخرج من جيبها كسرة خبز ناشفة) .

باولا : أماه ، أيتها العقعق ، ألا تعلمين حضرتك حتى الآن أنه لم يعد هناك فقر ؟ تحفظين وتحفظين كسرات الخبز الجاف ! انظرى إلى جيبك الذى يدعو للألم والملئ ببقايا الخبز التى تشكل بعد ذلك كومة وتتحول إلى غراء يصعب خلعه . خنزيرة ، حضرتك خنزيرة .

الأم : (متلفعة مرة أخرى) قلت لى ذات مرة . هيا ، ضعى يدك فى جيبى لأننى أحضر لك هدية ولكنى وجدت بطاقة الجيب ممزقة يا ديونيسيو (تضحك) .

باولا : ديجو ، هديتى ! نسيت من كثرة الضوضاء . يمر اليوم سبع وعشرون سنة منذ وصولك قبلتى يا ديجو .

ديجو : الحرب . . .

باولا : (تشير إلى وجنتها) قبلنى هنا (يقبلها) سبع وعشرون سنة دون أن تتحرك من جانبى وأنت لى وحدى .

ديجو : دون أن أرى الشمس . . .

باولا : الشمس ، يا للخداع ! ففى الخارج لا يوجد شمس . أى شمس أكثر من هذا الوجه ؟ يوجد فى الخارج فقط قطارات ودخان وقاذورات كثيرة وغرفة صغيرة قذرة وعربات تقتلك إن لم تكن حذراً .

أنت هنا عذبا تطلب ما تريد . أعلى يمكن أن تدوسك حافلة نقل المسافرين أو التهاب رئوى أو قاطرة . . .

ديجو : لا يعجبنى أن تتكلمى بهذه الطريقة عن الأشياء الموجودة أعلى . لكى أستطيع أن أظل هنا فأنا فى حاجة إلى أن أفكر أن أعلى مثل الجنة .

باولا : لن تكون لنا جنات ولكن لنا وحدنا الجحيم . لا يستطيع كل الناس قول نفس الشئ . أنت بشكواك لا تعلم ماذا تبتدع .

ديجو : . . . يوجد دلفيات وأحجار صغيرة وديدان نور وأحصنة وجوز كثير .

باولا : (آمرة) لا يوجد شئ من هذا .

ديجو : يوجد هنا فقط شقوق وبقع أحفظها عن ظهر قلب . (يلمس الحوائط مثل الحيوان الحبيس) يوجد أعلى كل شئ : الشمس والقمر

والأفـواه والملابس الجديدة والعـمل ، كل شئ ، كل شئ ، كل شئ . . .

باولا : (تصرخ) أقول أنه لايوجد شئ من هذا .

الأم : (تصرخ) ضمنى أكثر لأنى أشعر بالبرد ، فى كل مرة تتأخر أشعر بالبرد .

باولا : حيثما أكون سيكون لك الشمس والقمر وكل هذه القاذورات التى قلتها (ناعمة) ألم تسمعنى ؟ لقد أحضرت لك هدية .

(لا ينتبه إليها دييجو ، يلمس الحوائط ، يقيسها ، يضرب ، ويصرخ ثانية)

الأم : ديونيسيو !

باولا : لاتضايق أمى بحركتك حتى لا تزداد حالتها سوءا .

دييجو : إننى أبحث عن مخرج .

باولا : ليس هناك مخرج . من هنا يمكن الخروج فقط لأعلى . توقف !

دييجو : إننى أتمشى . يجب أن أمشى حتى لا تقف ساقى كما أمرنى الطبيب .

باولا : أى طبيب ؟

دييجو : أحد الأطباء .

باولا : لم يدخل هنا أى طبيب .

دييجو : حسنا ولكن على أية حال فإن ساقى تُنمل .

باولا : ولماذا لا تجلس ربع ساعة فى الشمس ؟ إلى أن أجهز طعام العشاء فدائماً ما تقول أنك تشعر بتحسن بعد جلوسك فى الشمس .

دييـــجــو : (يصرخ) لأننا فى الليل .

بــــــاولا : (تصيح) هذا ليس مهما هنا .

دييـــجــو : الشمس لك أنت وليست لى . احتاج أن أتـخيلها وأنا أتخيل فقط ما هو موجود . . . بجهد كبير . لا توجد شمس الآن . . .

الأم : الوقت ليلا !

بــــــاولا : عنيدون ! (رقيقة) لن نتشاجر اليوم يا دييجو لأنه عيد زواجنا .

دييـــجــو : (يقاوم) طبقاً لحساباتى فإنه كان الأسبوع الماضى .

بــــــاولا : آه ، أى إنك تشطب أياما في هذه النتـيجة القذرة ؟ أقـسمت بوالدك أنك لن تقوم بهذا مطلقاً . أخفـيتها ، أليس كذلك ؟ (تذهب إلى مكان محدد) .

دييـــجــو : ليست هنا .

بــــــاولا : (تخرجها دون تردد) لقد انتهت . (تمزقها) .

دييـــجــو : لا !

بــــــاولا : لن أعطيك الهدية . (يحنى دييجو رأسه كالطفل) علاوة على أنه كما تعرف أن شهر فبـراير يكون تسعة وعشرين يوماً كل أربع سنوات . . . دائما تسبق .

دييـــجــو : فعلا ! فبراير . . . اليوم . ألا تعطينى الهدية ؟

بــــــاولا : لا . (يبدآن اللعبة المعتادة) .

دييـــجــو : ما هى ؟

بــــــاولا : شئ اشتريته لأحد المسافرين .

دييـــجــو : كبير أم صغير ؟

بــــــاولا : صغير .

ديـــجــو : بأى حرف يبدأ ؟

بـــــاولا : حسب .

ديـــجــو : حسب ماذا ؟

بـــــاولا : حسب الاسم الذى يطلق عليه .

ديـــجــو : وهل ستعطينه لى إذا عرفته ؟ ما لونه ؟

بـــــاولا : أسود من الخارج ولكنى لم أره من الداخل .

ديـــجــو : غراب !

بـــــاولا : لا .

ديـــجــو : قط أسود .

بـــــاولا : لا .

الأم : لا أحبه إذن .

بـــــاولا : بما أنه ليس لحضرتك . . .

ديـــجــو : كمبس آخر .

بـــــاولا : لا . (تخرج مذياعاً من جيبها.) خذ .

ديـــجــو : يا لجماله ! ما هذا ؟

بـــــاولا : مذياع . استمع .

(تُشغله . موسيقى شعبية . صوت يقول : «من أجل حنجرتك تناول أقراص أمارلتا . لا توريس ، أفضل مطعم . استمتع بقضاء عيد الفصح بفندق ماريسول المطل على البحر.) تحرك باولا المؤشر ، موسيقى أخرى . يبكى ديـيجو ديـجو ، ديـيجـو . لديهم حق من يقولون أن الموسيقى تروض الوحوش ديـجو ، طفلى . . .

الأم : بكاء ، بكاء .

دييــــجــو : حدثينى عن العشب .

بـــــــاولا : لقد أحضرت لك أمس حفنة .

دييــــجــو : أجل ولكن انظرى . . . (يخرج من جيبه قليل من العشب الجاف.) لقد رويته هذا الصباح ولكن كان جافا . حدثينى عن المروج .

بـــــــاولا : خضراء .

دييــــجــو : خضراء كيف ؟

بـــــــاولا : مـثل الأشجـار ، مثل الحـور الآن . . . أكثـر اخضـراراً عن اشجار الزيتون ، هل تتذكر ؟

دييــــجــو : لا . . . والعشب ؟

بـــــــاولا : مثل فوطة سميكة خضـراء أيضاً بها . . . شئ كالهُدب ولكنه واقف . . .

دييــــجــو : واقف . . استمرى .

بـــــــاولا : به رائحة أرض مبلّلة .

دييــــجــو : وكيف يكون هذا ؟

بـــــــاولا : مثل مطر شـهر أغسطس . قبل هطوله بقليل ، عندمـا تسقط النقاط الأولى وترتطم بالتراب . . أتفهم ؟

دييــــجــو : (حزينا) لا . (يشيـر إلى بعض الأوراق الموجـودة فى يده) وهذه الأوراق المستديرة ؟

بـــــــاولا : إنها عشب أيضاً . . . (لا تعرفها) برسيم أحمر
كيف تنبعث الرائحة من البرسيـم الأحمر
آه ، يا لرائحـة البرسيـم الأحمـر يا إلهى .

دييــــجــو : (حادا) ليس صحيـحاً . قلت ذات مرة أن البرسـيم الأحمر له

دائماً ثلاث أوراق هل تتذكرين اليـوم الذى جئت فيه بواحد له أربع ورقات لأنه يجلب الحظ ؟ منذ عـدة سنوات . . . عندما شج حاجب دميان ، هل تتذكرين الآن ؟

بـــــــاولا : منذ عدة سنوات ، أليس كـذلك ؟ كان يجلب الحظ ، أليس كذلك ؟ وأحضرته أنا ؟ عجـباً . . . سأحضر لك الآن واحدا آخر وعـشبـاً وقرنفل وكل ما أجـده وإذا استطعت الإمـساك بأرنب سأحضـره لك أيضاً . لست أدرى لماذا يجب أن يموت أرنب فى مكان يعيش فـيه رجل مثلك (تصمد) عجبـا إن كان هناك داع لهذا فليهبط الله ويراه (تخرج) .

الأم : (فى حالة نشوى ، يستمع دييجو إلى الموسيقى) .

كـانت خضـراء كلون عـينيك يا قطى ، يا قطى الصـغيـر ، خضراء ، قاتمة ، رمادية ، بكل الألوان . كنت تتظاهر بالنوم وأنا أضع لـسانى على عينيك . فليحـمروا بيضتين لكل الباقى . لا أريد معرفـة أى شئ على الإطلاق . لا عن النهار ولا عن الليل . لماذا إراقـة كل هذه الدماء ؟ دم فى كل مكان . لـقد أغمـضت عينى منذ وقت طويل ، أغـمضتـها لكى أراك وأنت قادم ولكنك لا تأتى ! (تختفى وراء الستارة وتطلق صرخة تنزل باولا) .

بـــــــاولا : لقد بدأ هطول المطر . خذ (تعطيه قليل من العشب وزهرة.) شمه ؟

دييـــجـــو : إنما الحياة مثل المروج ، توجد اليوم ولا تظهر غداً .

بـــــــاولا : أراك كراهب يلقى خطبة دينية . واضح أنك كنت تسلى فهذا هو الشئ الأساسى . . . نعم فالحياة كـشهر نوفمبر وقليل من العـشب . يجـب أن نغلق هذا (تشيـر إلى المذياع) قـالو لى أنه يستهلك .

دييـــجـــو : دعيه قليلا . سأقول لك شعراً .
بـــــاولا : شعر ؟ عجبا !
دييـــجـــو : (بعذوبة)

صعدت قردة إلى شجرة الجوز
وقطفت جـــوزة خضـــــراء
وبــــدأت تعــض القشــــرة
وعندما وجدتها جـــد غضـــة
قامــــت بإلقـــائهــــــا
وبقــيت بــــــدون أكـــل
يحــدث هـــــذا دائمـــا
لمــن يتخـــلى عــن مســعــاه .
يحدث له مثلما حدث للقردة . . .

يحدث له مثلما حدث للقردة ، لا أتذكر أبياتا أخرى .
بـــــاولا : يا للروعة يا دييجو ! هل ألفتها لى ؟
دييـــجـــو : لا ، إنها من كتاب تعليم القراءة .
بـــــاولا : لم أسمع أبداً شعراً جميلاً كهذا .
دييـــجـــو : كيف يكون البحر ؟
بـــــاولا : لم أره . يبــدو لى أنه أزرق وأخـضـر بعض الشئ ويحـدث صوتا كهذا ، رأس ، رأس ، رأس ويزبد أبيض . . .
دييـــجـــو : وفى الليل ؟
بـــــاولا : فى الليل يجـمع الزبد وينام وفوق سطحـه تبحر السـفن التى تترك شحـمها فى ميـاهه . هيا بنا نأكل (يبدو الحزن على دييجو) سأشرح لك بعد ذلك . (يخرج دييجو كارت بوستال) هناك لا يرى

جيداً . ذلك شاطئ ، تعوق الناس رؤيته جيداً . . .

دييـــجـــو : يقال أن على شاطئ البحر توجد أماكن للرجال الأفظاظ . هذا كلام اناس سيئين . لا نهتم بذلك . هيا إلى الاكل (تذهب نحو المائدة ومعها إناء) .

دييـــجـــو : يستقبل الإنسان الحييس احزانا كثيرة مع الاحتياجات الجسدية .

بـــــاولا : يا لك من متـصنع النطق ! (تصل إلى المائدة . صرخة) من ذا الذى قطع جزءا من المائدة ؟ (يخفض دييجو راسه) لماذا فعلت هذا ؟

دييـــجـــو : لم تحضرى خشبـا لكى أصنع عربات وعا أنه كان يجب على أن أعمل .

بـــــاولا : يا للعربات أيها التـعيس . يجب أن تفهم أننى ألقيـها ! فمنذ عدة أشهر وأنا ألقيها بمجرد أن أصعد أعلى . لم يعد هناك من يحبـها فأهـل القرية سئـموا من العربـات ، مل الأطفال من عرباتك الغبية . والآن تفعل هذا مع المائدة يا لتعاستى !

دييـــجـــو : (اخرج شيئا من مكان ما) خذى ، خذى : المفك ، المبرد ، الكماشة ، الشاكوش . . . ألقهم فوق لن أصنع عربات أخرى وألقى هذه أيضاً (يعطيها عربة.) لم أنته منها بعد . بدأتها اليوم عندما خرجتِ .

بـــــاولا : (تداعب شعره) لو كان هناك برتقال لكنت أحـضرت لك واحدة الآن يا جميل ! هل تريد أن أحمل طعـام العشاء وتصنع عربة كبيرة بباقى المائدة ؟ (يرفض دييجو) وافق . . . (يكرر الرفض) . . . فلنأكل إذن . . .

دييـــجـــو : لا أريد . . .

(تجعله باولا يجلس وتعطيه الطعام كطفل شارد بدون أن يبدو مشهدنا ساخرا.) والله ، كيف يكون ؟

باولا : يا لها من أشياء ! ماذ أعرف أنا ! وهل تعتقد أنه بشر يمشى هناك أعلى لكى أراه ؟

دييجو : الموضوع أنه موجود فى كل مكان وخاصة أعلى . كيف يكون ؟

باولا : كبير جداً . كُلْ .

دييجو : الموضوع إننا نعيش فى كونه .

(تدخل الأم وتخرج من حين لآخر وهى تحمل طعاما.)

باولا : يجب أن يكون لا مثيل له .

دييجو : يعلم كل الأشياء : ما فعلناه وما لم نفعله ، ما نفكر فيه ولماذا نفكر فيه ودائما يبتسم ويبث الأمل للبشر .

باولا : لست أدرى لماذا يبتسم كثيرا . أعتقد فقط فى النار . . .

دييجو : (ينظر حوله) لا يهم الاعتقاد فى هذا .

باولا : حقاً ، نحن فقراء جداً لدرجة أنه من الصعب علينا أن نكون سيئين عيبنا الوحيد هو اننا لا نحب الموت . . . كُلْ .

دييجو : فى بعض الأحيان لا يتأكد الإنسان من أنه يريد أن يموت . . .

باولا : كلما تزداد كبرا يروق لك أن تعارضنى أكثر . . .

دييجو : واضح ، بما أنك فى منزلك . . .

باولا : هل هذا منزلى ؟ كلنا نعيش فى منازل غيرنا يا دييجو . نأخذ القش من هنا وهناك لبناء العش وفجأة تهب الرياح . . . وتأتى على الأخضر واليابس .

دييجو : لو كنا قتلنا توماس الذى يسكن فوق كما فكرنا .

باولا : واضح أنه يروق لك قراءة كتاب كمبس . . . كُلْ بسرعة لأن أمى لن تترك لنا شيئاً .

ديـــجــو : بالطلقة الموجودة فى البندقية الـتى أحضرتها تلك الليلة . كان بإمكاننا أن نصعد فى صمت ، ببطء شديد . وفى دقيقة . . . وبعد ذلك أستطيع أن أرقد وأنظر إلى النجوم .

بـــــاولا : سنقوم بذلك فى ليلة من هذه الـليالى على الرغم من أنه ليس سهلاً لأن المفتشين سيأتون بعد ذلك . . .

ديـــجــو : آه ، نعم ! المفتشون ! . . . ولكنى سأكون قد رأيت النجوم .

بـــــاولا : خُذْ . ستكون حراً يوما ما ، ستـكون سعيداً وحراً . السعادة والحرية مـعا . كل شئ يمر وبصـفة خاصـة ما يبدو لنا أكـثر أهميـة ويبق لنا فقط الأشياء الـتى لا أهمية لها كـالمطر والحر وهذا التـبغ وهذا النذر القليل من الخمـر وحُفنة العـشب ، ولا محطة اقلاع ولا محطة وصول . قطارات ولا شئ آخر : حُجر .

ديـــجــو : لكى ننام ، لكى نأكل ، لكى نظل نائمين .

بـــــاولا : لكى نعيش .

ديـــجــو : لا .

بـــــاولا : لا ؟ ومِمَن انجـبت أولادى الثلاثة ؟ من ضـوء القمـر ؟ لقد قضينا حياتنا كلها معا ، تقريباً كلها . لقد عجزّنا معا .

ديـــجــو : ولكن لم نعش .

بـــــاولا : سيكون ذلك حقيقـة ذات يوم ، سننتظر اليوم الذى تشرق فيه الشمس ونحن نضحك ونخرج مـن الكهف ونصرخ وسيعلم الجميع من هو والد ابنائي .

ديـــجــو : لا نملك حـتى ظلاً نجلس تحتـه ونأكل النبـتة . . . ولا ورقـة صغيرة تقع على شعرى (توقع باولا قليل من العشب عليه) لم أكن أبداً محظوظاً ولا حتى فـى صباى . مرة واحدة فى حـياتى قمت

بتحطيم قدر كبير بعصا المكنسة فوقع على رأسى وشجّها .

بـــــــاولا : كلماتك هذه ما هى إلا مـجرد وسوسة . تنمو كميـات كبيرة من الخبيزة الآن ويسـقط المطر فوق الأرض التى ليس بها حتى أموات ، فى أراضى الله هذه وهاهم هناك لا يتفوهون بنصف كلمة : أمـوات ، أموات تماماً للأبد . أنت هنا مـعى . أمد يدى وأشعـر بسريان الدم فى معـصمك أمد يدى وأشعـر بنمو لحيـتك ، وهذا العشب وهذا الخـمر وهذا الذباب المـلعون . وهذه الحلوى التى ستأكلها الآن ، أليس كل هذا مجداً مقدساً ؟ آه ، يا لنا من متشددين ! الحياة ، الحياة ، يالها من قذارة .

دييـــجــو : الحيـاة هى التغـيير ، أن تـكونى شخصـية أخـرى وأخرى . البحث عـن شئ أنا عاطل ، إذن فأنا لا أعـيش . أنا لا حى ولا ميت . أنا مثل الميت ومثل الحى .

بـــــــاولا : أفضل . لديك الأمل أن تخرج من هنا بطريقة أو بأخرى فلن تكون كالميت طيلة حياتك . (تخرج شغل إبرة وتغزل) ووجود أمل فى أى شئ أفضل بكثير من الحصـول عليه . يوجد فى العالم كثير من آباريق المياه الباردة .

دييـــجــو : هذا ما يقوله كمبس .

بـــــــاولا : لا ، لم يكن كمـبس أحمق . فلنر : فى أى شئ تعتـقد أن حياتك تخـتلف عن حياة رجل ذكى جداً أو عن حـياة طبيب التأمين أو عن حياة بهلوان ؟ لا شئ كل ذلك ما هو إلا إعادة تجعل أيامنا سواء .

دييـــجــو : باولا !

باولا : ماذا ؟

دييجو : لمن هذا الجرسيه ؟

باولا : لقاصد قداسته . (تبتسم)

دييجو : منذ كم شهر وأنت تغزلينه ؟

باولا : أوى ، شهور : منذ قليل جدا بدأت فى غزله . . .

دييجو : أنك تفكيه فى المساء يا باولا . انظرى للصوف فإنه مموج .

باولا : لأنى أخطأت .

دييجو : تفكينه لكى تجعلينى أشعر بمرور الوقت . . . ربما إذا قلنا الحقيقة ذات يوم . . .

باولا : (تنظر حولها وهى في حالة فزع) اسكت ، وماذا نعرف تحت عن الوقت ؟ فاليوم الذى ستخزج فيه سنعمل شيئاً . (يبدآن اللعبة) .

دييجو : ماذا ؟

باولا : لدى رغبة . (غامضة) .

دييجو : ماهى ؟

باولا : سنذهب إلى مكان أعرفه لكى نأكل . . . جمبرى بالقشر . أيعجبك هذا النوع ؟

دييجو : لا أعرفه .

باولا : إنه لذيذ جداً ، سترى . وحيوانات بحرية يا دييجو ، حيوانات بحرية والحلو أيس كريم .

دييجو : وكيف تكون هذه الحيوانات البحرية .

باولا : لست أدرى ولكنها لذيذة جداً أيضاً .

الأم : يجب أن تأتى ، يجب أن تقول للعالم أجمع إنك لم تمت أبداً .

يجب أن تأتى لأنهم لا يصدقونى .

بـــــاولا : اليوم الذى نستطيع أن نخرج فيه معاً .

ديبـــجـــو : لن نستطيع أبداً يا باولا . منذ وقت طويل وأنا اتسائل ، أين ستدفنينى عندما أموت . فكرت أن أبدأ غداً بناء القبر فى هذا الركن لكى أسهل لك المهمة .

(يشير إلى ركن الأم . ترتعب باولا أمام اكتئاب ديبجو الغريب) .

بـــــاولا : ديبجو ! (لم يطلق حتى إشارة تحاول باولا أن تجعله يقوم برد فعل بأى طريقة.) اذهب إلى حيث تعوى الذئاب ! لم أعاملك أبداً بطريقة سيئة يا ديبجو ، ولكن إذا بقيت على هذه الحالة فأقسم لك أننى سآخذ أمى وأنصرف من هنا فى غضب واحتقار لأنك تريد أن تفزعنى وتقول لى أشياء سيئة بهدف ازعاجى . وتريد أيضاً أن تقع أمى فى القبر وتكسر ساقها . إنك ضعيف الإرادة وجبان . (دون ان تعى ما تقول) وغد ! ابن لست أدرى من ! أنانى دائماً . برجوازى ! (يصفعها ديبجو) أى يا ديبجو . حمداً لله أنك فعلت شيئا (تستمر فى شغل الإبرة) ما هو البرجوازى يا ديبجو ؟

ديبـــجـــو : لا أعرف .

بـــــاولا : لقد قلت ذلك بدون قصد .

ديبـــجـــو : حسنا ، هلا نذهب إلى الكازينو ؟

بـــــاولا : لا ، حتى لا تغش بعد ذلك فى لعبة الدومينو .

ديبـــجـــو : أقسم لك بألا أغش .

بـــــاولا : بوالدك ؟

ديبـــجـــو : بوالدى .

باولا : فلنقسم مرة واحدة .

دييجو : أقسم لك بوالدى .

باولا : سنذهب إلى الكازينو يا أماه وسنعود قريباً .

(يذهبان إلى ركن حيث يوجد صندوق وضعت باولا عند وصولها فوقه أصيصا به اربع أو خمس سنابل .) .

لقد أحضرت لك أصيص القمح ولكنك لم تقل شيئا .

دييجو : لم ينمو كثيرا . . .

باولا : أنت كما هو معروف : قليل الذكاء وتافه . (كما لو كانت تكلم احداً وهى تنزل الأصيص) كأسان كونياك . كأسان لذيذان فاليوم عيد زواجنا ، هل تعرف حضرتك ذلك ؟ (تحضرهما وتصب.)

دييجو : هذا ليس كازينو ، لماذا لا نقول الحقيقة ؟

باولا : اسكت ! (تعطيه ورق الدومينو) الدُش

الأم : إن امعائى تحدث أصواتا .

دييجو : ما دامت أمك هنا فلن يصدق أحد أن هذا كازينو .

باولا : لقد طلبت منك أن تسكت ! ماذا سيكون حالنا لو بدأنا نفكر فى أن هذا ليس كازينو ؟ العب . (تنظر لورقه بوقاحة) لماذا تلعب هذه الورقة ما دام معك الشيش جهار ؟ (اشعل دييجو المذياع منذ لحظة) ماذا ألم بك ؟ آه ، الموسيقى . بدا لى أنك شخص آخر . إما الموسيقى أو الدومينو . (تطفئ الراديو) .

دييجو : سيان فالهدف هو قضاء الوقت ، قتله أو تركه يموت .

الأم : فى مرج أخضر
نشرت منديلى .

نمـــت ثـــلاث وردات

كثــــــلاث عيـــون .

بـــــــاولا : انبلج الفـجر ، كانت أول ليلـة في مثل هذا التـوقيت . المرة الأولى . إنك لا تتـذكر . كـنت أول رجل يضع يده على ، أول رجل يشاركنى مضـجعى هناك عرائس تجهـزهن أمهاتهن ويغسلهن جيداً جداً ويضعن ماء المسك على صدورهن . عند بلوغ الخامسـة عشر يعلموننـا طريقة خياطة مفـروشات المنزل تاركين بهذا مكان المبتلئين خـاويا . بياضات ، فوط ، ملايات ، ثياب داخلية بيضاء . . . لقـد هزمتك . اطلب لى كأسا آخر . . . ما هو لقبك يا ديجو .

ديـــجـــو : راميريث

بـــــــاولا : وأنا لقبى مارتين . حرف الـ "M" وحرف الـ "R" ، حرفان من كلمة amor (الحَب) .

ديـــجـــو : الحب . (يضحك)

بـــــــاولا : لا أعرف لماذا تضحك يا غـبى . . . ويزوجوهن ويذهب كل أهل القرية إلى العرس وتلتقط لهم صور قـبيحة . وبعد ذلك تنام العـروس مع العريس فى الدور الأرضى وكل ربع سـاعة ينادون المدعوين إلى الشـباك ويقوم العـروسان بإعطائهم اللوز والبلح . لم يكن هنا ولا حـتى واحدة من نبـات العناب ولا عجـينة الصنوبر والسكر ولا لوزة . أفضل فهـكذا لم يضايقنا أحد . كنا هنا وحدنا تحت القطارات فى منتصف الليل .

ديـــجـــو : أجل ، نستـمع إلى صراخ أمك وشئ جعلنى أشـعر أن تلك

الليلة هي آخر ليلة في حياتي .

بـــــاولا : لا يعلم احـد شيئـاً : كانت أول ليـالينا . لقـد مرت سـبع وعشرون سنة وكأنها أمس .

ديـــجـــو : هذا بالنسبة لك .

بـــــاولا : لى ، أجل . أراك قادمـاً . مر الآن قطار البريد ، لقـد كانت تمر قطارات كـثيـرة بلا سابق إنذار في تلك اليـالى ، دون أن تحس بها . كيف كنت أتخـيل أن زوجى يأتى إلى بهذه الطريقة ، فجأة ، وأنا شـاردة ، دون أن أراه يتقدم للأمام ولا أشـعر بما شعرت به ؟ الأشياء . ماذا قلت لى ليلتها ؟

ديـــجـــو: هل حضرتك وحدك ؟

بـــــاولا : نادينى بحضرتك ؟ (تضحك) .

ديـــجـــو : نعم . . . . وأنت أيضاً .

بـــــاولا : يا له من شئ مضحك . خذ بندقيتك يا ديـجو (يخرج ديـجو من مكان ما بندقية يعلوها الصدأ) فلتبدأ .

ديـــجـــو : هل حضرتك وحدك ؟

بـــــاولا : نعم .

ديـــجـــو : ركب في ذلك القطار بعض الجنـود . سيطلبـون منى أوراقى وأنا لا أحمل شيئا منها . أريد أن أختبئ .

بـــــاولا : لماذا ؟

ديـــجـــو : سيقبضون علىَّ . سيقتلوننى .

بـــــاولا : ولكن ، من ؟

ديـــجـــو : العدو .

باولا : أى عدو ؟

دييجو : الآخرون : الآخرون . هم ، خبئينى .

باولا : لا أستطيع إن أمى مريضة ويجب أن يروها . يجب أن يعالجوها . لا يمكن أن أخبئك ، حقيقة لا يمكن أن أقوم بذلك .

دييجو : سيقتلونى .إنى خائف جداً ، منهك جداً . لا أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا . لم آكل منذ أربعة أيام . . . لقد قفزت من القطار وهو يتحرك . لقد جُرحت ركبتى .

باولا : هل توجد طلقات فى هذه البندقية ؟

دييجو : نعم .

باولا : فلتتركها إذن حتى لا تخطئ حضرتك وتطلق على الرصاص . اعتقدت أنك كنت تهددنى ولكنى تأكدت من سلامة نيتك عندما أنزلت البندقية . تفضل حضرتك . كل مما هو موجود . استرح حضرتك هذ الليلة ولنذهب غداً بعد أن تهدأ إلى أى مكان . لايجدر أن تظل هنا . يمر جنود كثيرون فى القطارات . . . وأكلت وشربت ونمت فوق المنضدة (يطلقان الإشارات) وكنت أنا أحيك الملابس . . . (وتقفه) .

الأم : ديونيسيو ! لا ! لا ! (يستيقظ دييجو) .

باولا : أربعة أيام وهى على هذه الحالة، منذ أن أحضر لها القسيس رسالة .

دييجو: هل كان والد حضرتك ؟

باولا : (جافة) لا ، لم يكن قريبى ولا قريبها .

دييجو : إذن ؟ (تهز باولا كتفها) فى الحروب تحدث أشياء . . . هل حضرتك متزوجة ؟

باولا : لا ، وحضرتك ؟ لا تجب ، لا يهمنى أن أعرف (يتبادلان النظرات) .

دييجو : فى الليل ، فى الجبهة ، توجد النجوم بينما يفكر الإنسان أن الشظايا ستشق بطنه . . .

الأم : لا تتضايق من أجلى فأنا متأكدة . لن يهدأ ، لن يهدأ قلبى .

ديجو : ماذا تقول ؟

باولا : أشياء لا تفهمها ، بطريقة لا يفهمها أحد .

دييجو : وهل حضرتك تعيشين وحدك معها ؟

باولا : نعم . لا يوجد أطباء . لا أستطيع أن أترك المحطة . أربعة أيام وهى على هذه الحالة . يأتى القسيس بعض الوقت ولكنه يتعب . . . أربعة أيام مع هذه الصرخات داخل الآذان . . .

دييجو : مثلى . . .

باولا : وأنا أيضاً منهكة .

دييجو : فلتنامى حضرتك قليلا وعند بزوغ الفجر سأوقظ حضرتك أو لو مر أى قطار . . . (تشك باولا) ألا تثقين فىّ ؟

باولا : نعم . . . ونمت أنا وقتها . (تمثل دور النائمة وينظر دييجو إليها)

الأم : «سأعود سأعود» لماذا لا تعود ؟ لم يكن من حقك أن تموت كالباقين . (يمد دييجو يده ويداعب صدغ باولا التى استيقظت . يتبادلان النظرات) .

دييجو : لا تعرفى حضرتك ماذا تفعلين ، أليس كذلك ؟

(ترفض بالإشارة) وأنا أيضاً . هل حـضرتك خـائفة ؟ (تؤكد) وأنا أيضاً (يضع يده على كتفها) سنرى غداً .

بـــــاولا : كنت خائفاً ولكنك كنت رجـلا . واشرقت علينا شمس الغد ونحن وحدنا .

دييــجــو : مثلمـا حدث بعـد ذلك كل يوم وحدنا ولكن أقل استـيـقاظا (صفير قطار) .

بـــــاولا : (تعود إلى الحقيقة) القطار العادى . لن أذهب فها أنا هنا أفضل ، أنت فى حاجة لـى أكثر من هؤلاء المسافرين . سـيصلون إلى أماكنهم وإن لم يصلـوا يعطونهم عشر بزيتـات . لقد وصلت أنت . كنت قـدرك وأنت قدرى . . . ولم أعـد لأسالك إن كنت متزوجاً أم لا (نظرة) .

دييــجــو : هيا .

بـــــاولا : (مقاومة خفيفة باستيحاء وتقنع) دييجو .

دييــجــو : (يتلهى) دائما ما كنا نقوم بهذا . (يبتعد)

بـــــاولا : أعرف ذلك . هيا .

دييــجــو : إن لم تكن لديك الرغبة . . .

بـــــاولا : نعم . (تذهب تجاه ستارتها وتفك شعرها والفستان . صفير قطار . صرخات . يتحرك القطار . النساء) دع المرآة يا دييجو وتعال . يمسك دييجو المذياع ويضعه على أذنه . وقفة. (تظهر باولا مرتدية تنورة) .

بـــــاولا : لماذا جئت أنا بهذا ؟ لقـد وضعنا العـدو فى المنزل . (يتبادلان النظرات تطفئ باولا المذياع . تذهب ومن بعدها دييجو وراء الستارة) .

الأم : يا أولاد ! يا أولاد . (وقفة بلهجة اخرى) زناة ! زناة !

الفصل الثانى

فى الساعات الأخيرة من صباح يوم من شهر نوفمبر) (بطل توماس لعدة ثوان ويلقى أعلى خطابا تلاحظه باولا التى كانت ملقاة على ظهرها وتظل . ويرقد ديجو أسفل ويستمع إلى مذياعه) .

باولا : لقد ضبطك يا توماس أيها الأكفس ! لا تجر كثيرا حتى لا تكسر رجلك الخشبية . (تضحك) فبدلاً من أن تترك لى الخطابات ، قل لى : الثانى ، الثامن ، العاشر لأننى أحفظهم عن ظهر قلب . «الآنسة المحترمة» . (تضحك) كيف يكون هذا الرجل يا ربى ؟ (تقبل الخطاب وتحفظه فى صدرها) إن لم يكن من أجله . . . فبعد كل شئ ، فإنه الشئ الوحيد الذى امتلكه بالفعل .

الأم : جئت ليلا . وكنت أنتظرك كل ليلة . وصلت أنت ونزعت قميصى . قتلتنى ، قتلتنى . آى ، ياله من موت بطئ . الآن أسدل الليل ستاره . . . تعال (تغمض عينيها بسرعة) تعال . . . (فجأة) .

آه من عقعق سان انطون

الذى يعض أصابع قلبى .

(تعبر من انفعالها) دعنى ، دعنى ، دعنى ، يا ديونيسيو !

باولا : (تفتح الباب الصغير ، تنزل وتتركه مفتوحاً ، شئ لم تقم به من قبل.) انكما تجعلاننى اشتاط غضباً من كثرة المشاجرات . (إلى ديجو المستلقى على الأرض مغمض العينين وفى وضع نائم.) لماذا لا تسليها أنت ؟ لماذا تنام فى مثل هذا الوقت ؟ وفى الليل لا يوجد من يستطيع أن يغمض لك جفنا . هل هذا منزلى يا ربى ؟ (تغلق المذياع الذى كان

صوته عاليا) هل هذه حياة منذ أن دخل المذياع الحقير ؟ قل لى ، هل تعتبر هذه الفوضى حياة ؟

دييـــجـــو : (بهدوء شديد) يقول كـتاب تعليم الأطفـال أن الكلب هو أفضل صديق للإنسان وهذا كذب لأن الرجل لا أصدقاء له . . .

بـــــــاولا : ولكن المرأة بفضل الله صـديقته . لقد مللت منكمـا . سأخر ميتة ذات مساء .

دييـــجـــو : الكلـب لا يتكلم ولكـنه ينبح . والشـــمس لا تتـكلم ، لا تتضـايق والشئ الوحيـد الذى تفعله هو تسـخين الجو . اننى آخذ حمام شمس . . .

بـــــــاولا : دعك من التمثيل ورتب هذا الكوم .

دييـــجـــو : لا أسمعك يا باولا ، يالنى من سعيد ! إن مفاصلى تطقطق . (يتمدد) الركبة ، الكوع ، الخصر . . .

بـــــــاولا : لن تستطيع الحصول علـى أى شئ إلا برغبتى . لن تعرف أى شئ إلا لو حكيته لك أنا .

دييـــجـــو : لست فى حاجة إليك . . . توجـد سحب ومن حين لآخر ، يقع على وجـهى الظل . أحس بالشمس . . . والسـحب . الشمس . . . والسـحاب (يزعجها) ويوجد بعـوض ، بعوض كثير جداً .

بـــــــاولا : عجباً ! لمذا لا تعرف أن السحب هى سحب وليست سرباً من البعوض ؟ (متحدية) .

دييـــجـــو : لأنه لا يقال «سرب من البـعوض» آه ، يضايقنى النمل وعشى على ذراعى ولكنى أتركـه يجرى . . . ياله من شئ حـسن !

وذلك العشب الذى يوخز ، ما اسمه ؟

بـــــاولا : (جافة) لاأعرف .

ديـــجـــو : نعم تعرفينه : قراص .

الأم : (بهدف الإزعاج) لقد جاء الليل !

ديـــجـــو : (مرة أخرى كطفل) لقد وخـزنى . . . يا له من شئ جـيد ! ذلك الشئ الأخضر الذى يقفز وله أرجل طويلة وعنشار ، ما اسمه ؟

بـــــاولا : أرز باللبن .

الأم : إنى أرى زوج من القـمـرى ، يرتفع ويتـحرك . ينـجبـان . ينجبان أطفال . . . ألا يقال هكذا ؟ أو يعض كل منهما الآخر . يالهما من ماهرين . . .

ديـــجـــو : القمرى لا يعض . (تضحك الأم) يا له من عرق لذيذ .

الأم : (ناعبة) كم هو طويل عنقك ومزروع جيـداً يا سيدى . كرست حياتى كلها لكى أملأه بالقبلات . . .

ديـــجـــو : (بقـوة) إنه ميت . (تصحك الأم).

بـــــاولا : اسمع (بمكر) وذلك السنجاب ؟ هل تـرى ذلك السنجاب وهو يأكل البندق ؟ ياله من شره !

ديـــجـــو : (قلقا ولكن لم يفتح عينيه) لم تحكيا لى أبدا عن ذلك السنجاب . لا ، لا أراه .

بـــــاولا : (مؤذية جداً، تنتقم.) لماذا ؟

ديـــجـــو : لأن عينيى مغمضتان ، ألا ترين ؟

بـــــاولا : (فاتنة) افتحهما وسترى كيف يكون السنجاب .

ديـــجـــو : لا أريد . فها أنا أفضل هكذا كم يمشى فوق السحاب .

باولا : وهل مشيت قبل ذلك فوق السحاب ؟
دييجو : نعم ، ماذا يحدث ؟
باولا : (مقتحمة) لاشئ ، كنت أسأل من باب الفضول . استمر فى حمام الشمس ، أسمح لك بذلك . (يضحك دييجو.)
الأم : لقد أسدل الليل ستاره.
دييجو : لا أريد !
الأم : جبان ! جبان!
دييجو : (يستوى على المجلس) لقد أطلقوا على ديونيسيو عشرين طلقة ، طلقة تلو الأخرى . لقد تركوه كالخرقة ورجليه مفتوحتين .
الأم : (هادئة جداً.) لا .
دييجو : لقد خرج مخه من إحدى عينيه وأكله الذباب .
الأم : نمل ، نمل !
دييجو : ذباب أزرق . لقد رأيته
الأم : لقد كنت حيا جداً لدرجة أنك لا تستطيع أن تكون ميتا .
دييجو : ومات عندما وضعت الحرب أوزارها ، فى الوقت الذى لم يكن هناك داع لكى يموت .
الأم : تعال واقتلهم كلهم يا دونيسيو .
دييجو : جبان ، جبان ! (فى نفس واحد) .
الأم : كذب !
باولا : اسكتا (تصيح، متضايقة) فالآن صبح ولكن هناك بعض الغيوم .
دييجو : لقد قلت منذ لحظة إن الشمس كانت ساطعة .
باولا : ولكنها ذهبت مثلما سأفعل أنا .

دييجو : آخر الأمر ، فيما يهمنى ما هو موجود بالخارج ؟ سأرقد وآخذ حمام شمس عندما يروق لى . (يرقد)

باولا : سأنصرف ، ذات صباح سأترككما وحدكما وأرحل . ستستيقظان وتعتقدان أننى فوق بينما أكون قد رحلت للأبد . (تبكى الأم . إلى دييجو .) وسيكون الذنب ذنب هذه الأصوات الأخرى ، هذه الموسيقى الأخرى . تأتى التوبة بعد الخيانة .

دييجو : إذن ، لماذا لا تتركنى هى آخذ حمام شمس ؟

باولا : ولماذا لم تتركها أنت تنام مع ديونيسيو ؟

دييجو : لم أكن أنا البادئ .

باولا : المهم أن تتعلم البقاء وحيداً بين أربعة حوائط . (نغمة اخرى ، لكى تسلى الأم) اقرئى لى الكوتشينة يا أماه . (تخرج الكوتشينة) هل تتذكرين عندما كنت تقرأينها لأهل القرية ؟ كنت تربحين كثيرا ، أليس كذلك ؟ (تخلط الأوراق وتخرج بعضها) انظرا . امرأة شقراء تتزوج من رجل أسمر . أنا . أحزان ولكن كثير من المال آه ، يا للسعادة . يتدخل رجل كبير فى الأمر .

الأم : أريد أن أضع زهرة فى شعرى .

باولا : ذهب . (ورقة أخرى) آه ، لا أحب هذه .

دييجو : ما هى ؟

باولا : لن أقول لك .

الأم : لقد وضعت ذات مرة زهورا فى شعرى .

دييجو : ماهى ؟

باولا : الثلاثة البستونى خذى يا أماه الكوتشينة واقرأيها لى .

الأم : (تأخذ الأوراق وترميها فى وجه باولا.) لقد قرأتها . على الوجه ، على الوجه . لا توجد شمس ، لا يوجـد قمر . لا أريد أن أراهما . (برقة شديدة) جاء الليل ولا يوجـد قمر يا ديونيسـيو . (تخرج) ولم تأت أيضاً ليلة أمس .

باولا : (تاخذ ورق اللعب) لقد أعطا لى ساعى البريد رسالة .

ديـيجـو : فلنرها .

باولا : (تريد الرسالة) من مـانويل . لماذا لم تـقل أن بهـا رائحـة أعلى كالعادة ؟

ديـيجـو : لأن المظروف قديم . إنها نفس الرسالة كل الأسابيع .

باولا : (بصوت خفيض) إنى خائفة . ماذا يحدث هنا ؟

ديـيجـو : علاوة على إننى أعرف جيداً إنك أنت التى قمت بكتابتها .

باولا : لا تقل هذا . ستندم غداً على ما قلته .

ديـيجـو : لا . أستطيع أن أفرق بين الحروف .

باولا : لو أننى التي كتبتها ، لكنت قد كتبت أشياء لك ، ألا تفهم ؟ قبلات أو تحيات . . . لكى اجعلك سعيداً .

ديـيجـو : لم تكتبى هذه الأشياء لكى اعتقد أنك لست كاتبة الرسالة .

باولا : (تمزق الرسالة) انظر إلي ما فعلته .

ديـيجـو : (مفزوعا) لماذا لم تستمرى فى القول بأنها من مانويل ؟

باولا : لأننى تعبت .

ديـيجـو : أنك دويبة يا باولا .

باولا : لست دويبة . اننى تعبت من كثرة خداعى لك .

ديـيجـو : لم تخدعينى . كنت أعرف أنها كانت لعبة .

باولا : وعليه فلا ممازحة باللعب ، يمكن أن نمازج بأشياء كثيرة حتى بالموت ولكن ليس باللعب لأنه .. لن يكون هناك لعبة . انتهت والشئ الوحيد الذى أنقذنا كان اللعب بجدية تامة . ما هو مصيرنا الآن ؟ (نابطة الهمة) .

دييجو : (يواسيها) سأشترى لك قبعة زرقاء عندما نخرج من هنا ... هلى تسمعينى ؟ هل تسمعينى يا باولا ؟

باولا : (شاردة) نعم .

دييجو : إذن ، لماذا لم تقولى إنك تفضلينها وردية اللون كالعادة ؟

باولا : (منهكة) لا ، اليوم أفضلها سوداء .

دييجو : سوداء ؟ (فى قمة الدهشة) .

باولا : نعم ، فاللون الأسود أيضاً من الألوان .

دييجو : لا يعجبنى . فالأفضل بالنسبة لك الأزرق الشاحب ... لا تدهشينى يا باولا ... (يستمر فى اللعب) وما هو الأزرق الشاحب ؟

باولا : (بدون رغبة) مثل لون عينى .

دييجو : عيناك جميلتان ، وعيناى ؟ ما لونهما ؟ لا تقولين لى شيئاً اليوم .

باولا : مثل الحلاوة باللوز . (وقفة. تشدد على كلامها) مثل التى أحضرتها فى أعياد الميلاد .

دييجو : لم تخبرينى بذلك من قبل ... ومتى كانت أعياد الميلاد ؟

باولا: علة مرات فى السنوات الأخيرة .

دييجو : ولماذا لم تخبرينى بهذا ؟

باولا : لكى لا تقلق لأنك تعطى أهمية كبيرة للأشياء التافهة . ألا

توجد معك نتيجتك القذرة . . . ؟ يكون عيد الميلاد دائما ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر . . . (بعيدة) .

ديـيـجـو : ولكنك لم تتفوهي بكلمة . . . أتذكر أنه في ذلك الوقت . . .

بـاولا : على العكس . فقد أحضرت لك الحلاوة باللوز .

ديـيـجـو : (يفكر) أكلنا ديك رومي أبيض سمين . أكلنا كثيرا لدرجة إننا لم نستطع القيام من على المائدة إلا بعد أن تمت عملية الهضم

بـاولا : (غيورة من حياة دييجو السابقة) من هم الذين لم يستطيعوا ؟ من هم الذين ظلوا حتى هضموا الطعام ؟

ديـيـجـو : أنا وآخرون . . . لا تعرفيهم أنت . . . حدث هذا في مكان آخر . . .

بـاولا : أين ؟

ديـيـجـو : في مكان آخر . . . في جزء ما . . . (كسول) لا أتذكر ذلك جيداً الآن .

بـاولا : ولم أكن أنا هناك ؟

ديـيـجـو : لا يا باولا ، لم تكوني هناك .

بـاولا : (مستعطفة) توجد حلاوة باللوز ، هل تريد قطعة ؟ (تذهب لتحضرها) .

الأم :
يقولون إن سانتا تريسا
تشفي العشاق
وعلى الرغم من مهارتها
إلا أنها لم تشفني .

ديـيـــجــو : لم يتبق من الحلوى شيئاً . لقـد وضعتها أمك في المزيلة . . . وحـتى لو كانت مـوجودة ، لا أريد . أريد أن آخـذ حمـام شمس . . . إذا أكلت الحلوى باللوز سيأتى النمل . . .

بـــــاولا : وإن كان النمل يعجبك .

ديـيـــجــو : لا يعجبنى الآن .

بـــــاولا : ما حدث لك . . . (سعيدة لأنها وجدت الحل . لعبة أخرى شائعة) ما حدث إنك مثل السيد تيو .

ديـيـــجــو : (يقع فى الفخ) مثل السيد تيو ، وماذا ؟ استمرى .

بـــــاولا : (مرة أخرى باحتقار) إنك تعرفه جيداً .

ديـيـــجــو : ولكنك تحبين أن أسمعه منك . مثل السيد تيو . . .

بـــــاولا : عندما نبت شعر جسده .

ديـيـــجــو : وبكل شعرة . . .

بـــــاولا : كان يطلق صرخة (رد فعل) لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك سأجن .

ديـيـــجــو : (سعيداً) هكذا ، هكذا . فكـما تعـرفين أنه يـجب علينا أن نتشاجر كل صبـاح وإن لم يحدث ذلك فلا يمكننا أن نتصالح وننام سويا .

بـــــاولا : لا أتذكر شيئاً . لا أعرف ما يجب على عمله وما أستطيع أن أعمله . لقد قلت نفس الحماقـات عدة مرات ، أقولها بالفعل دون أن أتذكر أنه يجب على قولها . . . كما لو كنت أستطيع عمل شئ مختلف . لا أعرف شيئا . لا أعرف . . .

ديـيـــجــو : (يفتح للدباغ . موسيقى ناعمة) كان لدى أرجوحة معلقة بشجرة بلوط

وقبلتها أول مرة تحت تلك الشجرة . . .

بــــــاولا : (منهكة) قبلت منّ يا دييجو ؟

دييـــجـــو : لقد حدث هذا قبل أن أعرفك .

بــــــاولا : وما هو الجرم الذى ارتكبته ؟ فـأنا لم أتغير على مـدى سبع وعشرين سنة . ربما كنت أسـوأ من الآن وكنت تحبنى . ماذا حدث هنا ؟ إن كنا وحدنا ، ماذا يمكن أن يحدث ؟

دييـــجـــو : الزمن يابا ولا . الزمن وأنتا لسنا وحدنا ، ألا تسمعين ؟ (يشير إلى المذياع الذى تغلقه باولا) .

بــــــاولا : إننى أتفاهم جيداً مع أمى .

دييـــجـــو : لأنك لا تتكلمين معها .

بــــــاولا : وعلى الرغم من كـلامى معك طوال اليـوم فلن أصل إلى أن افهمك .

دييـــجـــو : لأننا نتكلم دائما عن أشياء أخرى .

بــــــاولا : ما هى ؟ قل لى .

دييـــجـــو : لا عنك ولا عنى ، عن أشياء . أسـوأ شئ هى الأشياء لأنها تحيرنا . . . لماذا لا نكذب مرة أخرى .

بــــــاولا : ما نفـعله ليس كذبا . إنها مـحاولة للعيش . يحـاول أخرون ذلك بطريقة أخرى . هناك طرق كثيرة لعدم قول الحقيقة . . . المسنى يا دييجو . . . هل يروق لك أن تلمسـنى ؟

دييـــجـــو : لا أعرف . بما أنه ليس هناك أخرى . . . أمك لم تحبنى أبداً .

بــــــاولا : هل قلت لك شيئا سيـئاً يا دييجو ؟ ألم أعطك كل شئ ؟ أى حياة لديك سوى التى حكيتها لك ؟

ديــجــو : (غاضبا) لا تقولى هذا مرة أخرى ، انتهينا . اسكتى .

بــــاولا : ماذا حدث ؟

ديــجــو : الشخص الذى يسكن فى الطابق العلوى . الحارس . لقد تركت الباب مفتوحاً .

بــــاولا : وكيف عرفته ؟

ديــجــو : من وقع الخطى .

بــــاولا : لا يمكن أن يكون هو . لقد رأيته فى كشك الحراسة .

ديــجــو : هُس . . .

(يختفى ويظهر بالفعل توماس أعلى .)

تومــــاس : باولا ، باولا .

الأم : كوكو ، مــرت سيــدة
كوكو ، ترتدى تنورة طويلة
كوكو ، مــرت خادمــة
كوكو ، تحمــل سلطـــة

تومــــاس : باولا . (يطل من الباب . تنظر باولا إلى دييجو) .

بــــاولا : (منزعجة) اخرج من هنا . عما تبحث حضرتك ؟ هذا منزلى . هذا مقصفــى . اخرج (يتراجع توماس بعض الشئ وهو مندهش) أهل القمة أعلى وأهل القاع أسفل . أم أنهم لن يتركونا حتى نتعفن ؟

الأم : (تطل) لا تنظر إلى هكذا يا سيد روفينو أيها العصفور الأسود . آه ! (تختفى ثانية.)

بــــاولا : (وهى تصمد) اخرج ! (تغلق الباب) لماذا جئت ؟

تومــــاس : (عندما يلاحظ تغير النغمة) ياللهول .

بـــــــاولا : أنت الذى بحـثت عن ذلك . من أمـرك أن تتدخل فـيمـا لا يعنيك ؟ لقـد قلت أنه لا يمكن لأحد أن ينظر من هـذا الباب وهذا هو الأفضل لأن هناك أشـياء لا يجب أن ترى . . . كل يوم يمر تزداد الحالة سوءا .

تومـــــاس : ولكن ، هل أمك تعض ؟

بـــــــاولا : بالطبع وخاصة فى النهار ، دائما تعض الغرباء وخاصة نهاراً .

تومـــــاس : لست أدرى ما الدافع الذى يجعلـك تعيشين معها وحـدكما ؟

بـــــــاولا : إنها أمى ، أليس كذلك ؟ لا تأتِ فى مثل هذا التوقيت أبدا . ماذا حدث ؟

تومـــــاس : لقد قطع زرار من البدلة .

بـــــــاولا : ولم تستطع الانتظار ؟

تومـــــاس : التعليمات يا امرأة .

بـــــــاولا : احضر لى هذا الجاكت . (يبدأ فى نزعه) .

تومـــــاس : (بخجل) هل قرأت الخطاب ؟ خطاب اليوم لم يكن من الكتاب وكل ما جاء به منى أنا ، خرج فجأة .

بـــــــاولا : لا . . . هذا الزرار قطعته أنت بمديتك .

تومـــــاس : (مرتبكا) جئت أيضاً لكى أحضر لك هذه الهدية (إنها برتقالة جميلة جدا) اشتريتها حالا . (يعطيها لها) .

بـــــــاولا : (بينما تجلس وتستعد للحياكة) يالها من جـميلة . تبـدو كبـرتقالة بلاستيكية . هل هى من البلاستيك ؟

تومـــــاس : لا ، إنها من البرتقال .

بـــــــاولا : ولكنها تبدو كالبلاستيك . سأحتفظ بها الذى . . . لكى آكلها

أسفل .

الأم : اقتلهم ياديونيسيو . (يصفر لها دييجو وهو فى حالة فزع) شقهم من أعلى لأسفل وألق الرمل بداخلهم .

دييجو : (يغطى فمها ، يخنقها تقريباً) اسكتى ، اسكتى وإلا قتلتك . (تجرى الأم كالحيوان تجاه غرفتها.)

باولا : هل تسمعها ؟ إنه كابوس . (عازمة) إنى جائعة . سآكل البرتقالة الآن وحدى . (تقشرها وتأكلها وهى تحيك) من هنا فإن أهل القمة لايعتقدون فيما به أهل القاع . . . فمن هم مثلى الآن ، جالسة على كرسى صغير من البوط ، آكلة برتقالتها فى هذا الوقت من نوفمبر وهى تخيط ، تخيط . . . هؤلاء الناس لا يمكن أن يعتقدوا ذلك . . . كيف تحبها ؟

توماس : ماذا ؟

باولا : الخياطة .

توماس : متينة .

باولا : (بخبث) لكى تعود وتفكها بمديتك ؟ ما أريد أن أعرفه إن كنت تفضلها على شكل صليب أم لا .

توماس : كما يروق لك يا باولا . (يضع يده على كتفها.)

باولا : هناك نساء كثيرات فى العالم يحيكون مثلى الآن . غرزة وغرزة أخرى . . . هل تريد فص برتقال ؟ (يقبل توماس) وسيكون لهن أولادا معروفى الأب ويضعن أيديهن على أكتافهم .

توماس : لأنك لا تريدين الحصول على ذلك . . .

بـــــــاولا : لدى يد فى كتفى ولكنك ستجدها فى وجهك .

تومــــــاس : إذا أردت سيكون لك المنزل ، السرير الجميل ، عدم عمل أى شئ ، مستشفى لأمك ، كل شئ .

بـــــــاولا : لا تتكلم كثيرا فى هذا الموضــوع ، ربما يوما ما أقول لك نعم وسيعمل هذا على اصابتك بنوبة قلبية أو اغماءة .

تومــــــاس : (يمديده) لماذا لا نجرب ؟

بـــــــاولا : ماذا ؟ إن نكون هادئين ؟ (ينحنى توماس ويقبل كتفها ، بالقرب من العنق) دائماً مـا كنت أحلم بأن يقبلنى أحـد فى كتفى بهـذه الطريقة . . . لست أدرى لماذا . تكون سيدة عظيمة من تقبل فى كتفها بهذه الطريقة . . . (تتهد وتحافظ على إيقاع الخياطة) من أعلى لأسفل ، من أسـفل لأعلى . . . لا : أعلي ، أعلى . . . ستـعـمل الأخـريات تطريز وأربطة بـخيـط أبيض على قـمـاش أبيض وستكون رقيقة جداً . . . عجبا ، لقد وخزت نفسى !

تومــــــاس : هل هذا دم ؟

بـــــــاولا : لا ، إنه حب العزيز .

تومــــــاس : هلى تتركينى ارتشف ؟ (يقوم بذلك) ياله من لذيذ دمك .

بـــــــاولا : شكرا يا دراكولا . برتقـالتك كانت أيضـاً لذيذة . لماذا تفعل هذا يا توماس ؟

تومــــــاس : (بفزع) ولكن ماذا نفعل ؟

بـــــــاولا : لا شئ . إن لم نكن نعـرف السبب فـهذا يعنى إننا لا نعـمل شيئا . أعتقد أن إحساسنا بالجوع هو السبب فيما يحدث .

توماس : من ؟

باولا : الجميع . نأكل فتسخننا المعدة قليلا ولا نتذكر أى شئ . يداهمنا النعاس ، النعاس وننام . وهكذا مرة أخرى حتى النهاية ، حتى ندخل فى طريق ميت . . . لا يجب أخذ الأشياء مأخذ الجد .

توماس : أية أشياء ؟

باولا : الأشياء . كل الأشياء ، تبدو أحمق .

توماس : تعبرين عن الأشياء بطريقة . . .

باولا : أعرف ما أقول . انتهى . والآن من الأفضل ألا نتكلم فى هذا . انتهى هيا . (تمد له الجاكت) كيف يمكنك فهمى وببدلتك شرائط كثيرة وبقبعة ملونة وأزرار فى السترة . يجب أن تكون عاريا يا توماس ، عاريا جداً لكى تفهم الأشياء .

توماس : (اشارة تدل على العرى) وماذا أريد أكثر من ذلك .

باولا : اهدأ يا أسد . (تساعده لكى يرتدى الجاكت) ضع وسادة الإبر فى علبة مربى السفرجل واخرج إلى عرض الشارع وأنا . . .

توماس : وأنت ؟

باولا : أنا ؟ سأندم على أنى أكلت البرتقالة وحدى وسترى أنت إن كنت غبية أم لا . اذهب والله معك .

توماس : يستغرق القطار الصاعد اليوم ساعة ونصف

باولا : ماذا تريد أن تقول لى ؟ أعرف جيداً أن الصعود صعب جداً .

(تدفعه. يخرج توماس . تراه يبتعد . تفتح الباب الصغير . تنزل وتغلقه بخطاف . تكلم ديبجو الذى تراه واقفا وراء الستارة مفزوعاً) .

ماذا ألم بك ؟

دييجو : هل ذهب ؟

باولا : أجل ولكن ماذا ألم بك ؟ أراك متململاً .

دييجو : كان من الممكن أن يرانى .

باولا : لم يراك . ربما كان من الأفضل أن يراك حتى ننتهى من هذا الموضوع .

دييجو : لماذا تقولين هذا ؟ تريدين أن يأخذونى ، تريدين أن يجدونى . (اسير لهياج عنيف) ستبلغين عنى . ستبلغين عنى . بلغتى عنى .

باولا : (هادئة جدا) لا .

دييجو : (هادئا) هل أكلت البرتقالة التى اعطاها لك توماس ؟

باولا : نعم .

دييجو : لقد بعتينى ببرتقالة .

باولا : لا ، لم أبعك حتى الآن .

دييجو : ولكنك ستفعلين ذلك .

باولا : لا أعتقد ذلك يا دييجو وقد يأتى اليوم الذى سأبيعك فيه .

دييجو : لو أستطيع الخروج و سأعطيك أيضاً برتقال . إعطاء برتقال أعلى ليس شيئا ، لا معنى له . . . لو كان عندى هنا برتقالة واحدة لـلعمر كله . كنت اعطيتها لك أيضاً . . . أو على الأقل نصفها . . .

باولا : (يحن قلبها للحظة) أعرف ذلك . (تبحث عن شئ) أين وضعت المذياع ؟

دييجو : (يشير إلى جيبه) هنا .

باولا : (ثائرة) إنه مذياعى . اعطنى إياه . لا يمكن أن يكون للاثنين ،

إنه لى وحدى . . .

ديـــجــو : (بثقة شديدة) لا ، إنه لى وليس لأحد غيرى .

(صراع على المذياع . تقع باولا على الأرض أثر دفعة . مندهشة.)

بـــــاولا : لم أراك على هذه الحال أبداً .

ديـــجــو : لم ترينى أبداً بأى طريقة . لقد اخترعتينى ولكنك لم ترينى .

بـــــاولا : لم تعد تقرأ كتاب كمبس وشغلك الشاغل الآن هو الاستماع ، الاستماع . إن كنت تحب المذياع لهذه الدرجة فسأهديه لك ثانية . إنه ملكك .

ديـــجــو : كنت متأكد من هذا . لقد استمتعت إليه قليلا ليلة أمس ، عندما كنت نائمة . بصوت خفيض لدرجة أنك لم تشعرى به . سمعت صوتا ولكن بما أنه كان منخفضاً لم أفهم شيئا مما قاله . . . قال إن كل من شارك فى الحرب يمكنه الآن الصعود ، العودة ، هل تفهمين ؟ مع الباقين كما لو أن هذا سهل مثل شرائك قبعة زرقاء .

بـــــاولا : حسنا ، دائما كنت تنتظر هذا . الصعود لأعلى ، لأعلى كالبالونة . لن تكون هناك قبعة زرقاء ولا وردية يا ديجو ولا من أي لون . وأسعد أنا . . . من الأفضل أن تساعدنى فى ترتيب هذه الزريبة . أكنس أنت وسأنظف أن الأطباق . أواحلق ذقنك لأنه ينقصك هذا الشئ الجيد . . .

ديـــجــو : لماذا ؟

بـــــاولا : ألم تقرأ عن ذلك السيد الذى كان يعيش وحده في جزيرة وكان يحلق ذقنه كل يوم ؟

ديـــجــو : الكنس وحلاقة الذقن ، كحفنة التراب التى اعطيتها أنت

لمانويل يوم رحيله . (يصق على الارض) يقوم بمثل هذه الأشـياء من يخرجون ويدخلون ويبتلون وتسطع الشمس فى وجوههم .

باولا : آه ، هكذا ؟ وماذا يتبقى لك ؟

دييجو : أن أفكر فقط فى الخروج والدخول وأن ابتلل وأن تسطع الشمس فى وجهى . (ينظر كل منهما لوجه الآخر.)

الأم : افـرح يـا قلبـى
حتى ولو كان فى المساء
فالقلب الذى لا يفـرح
لا يجرى به أبدا دم طيب

باولا : أفضل عدم الكلام . (تذهب لتنظيف شئ ما .)

الأم : استمتع بصحبتى واستـمتعت به . كان الاستمتاع هو كل همنا فى السرير الذى مـاتت فيه والدتى وزوجى . كان كـالليمون الهندى مـر وحلو . لم يعد هناك رجـال مثله . سـيأتى هذه الليلة وستـموتون حسداً ، أيهـا الضعفاء التـافهين . (تضحك وتختفى ، تخرج) أيتها الحشرات . (تختفى مرة أخرى) .

دييجو : (اشعل المذياع) لقد سـمعت أمس ما قـيل عن الحرب ، إن الله غفر لنا لقد سمعته بوضوح شديد .

باولا : نعم يا دييجو ، نعم . لقد سـمعته أنا أيضاً (بلهجة ساخرة) وعن أى حرب كانوا يتكلمون ؟

دييجو : عن الحرب .

باولا : ولكن أى حرب ؟ دائماً تعتقدون إنه لم يكن هناك حروب سو حربكم .

ديـيـجـو : (مقتضبا) لا أعرف ذلك . (حزينا) لس هناك حل ، ليس هناك حل .

بـاولا : (تعود لتجد دييجو السابق) دييجو ! لماذا لا نرقص ؟

ديـيـجـو : إذا أردت . . . (تقترب) . . .

بـاولا : أنتظر حتى اضبط هندامي لأن منظري قبيح . . . (تذهب) .

الأم : إذا مـت يا أمـاه
فلا يدفنوني في مكان مقدس .
مـواء ، مـواء ، مواء . . .
فليتـركوا رأسـي بالخـارج
ويصففوا شعـري جيـدا .

بـاولا : (تهدم) تعجبني كثيرا رقصة الفالس ، وأنت ؟

ديـيـجـو : كان يعجبني كثيرا خليط البيض والسكر الذي يشبه الخيوط .

بـاولا : إني أتكلم عن الرقص يا رجل .

ديـيـجـو : لا أعرف . لم يكن لدي وقت .

بـاولا : صحيح ؟ وماذا كنت تفعل ؟

ديـيـجـو : حسنا . . . الشئ المعتاد .

بـاولا : وما هو الشئ المعتاد ؟

ديـيـجـو : العمل ثم الراحة ، العمل ثم الراحة ، العمل . . .

بـاولا : لماذا ؟ !

ديـيـجـو : لقد قضينا أوقاتا طيبة .

بـاولا : وبعد ذلك ؟

ديـيـجـو : وبعد ذلك قمنا بإطلاق النار .

بـاولا : أقصد أيام الآحاد .

ديــــجـــو : كنت ألعب الموس (*)
بـــــــاولا : يا للتفاهة . كنت تلعب الموس فقط ؟
ديــــجـــو : والبلياردو .
بـــــــاولا : (بخبث) ولكن ، هل كان اللعب هو شغلك الشاغل ؟
ديــــجـــو : كنت أتمشى . . . (موسيقى ناعمة) كنت أمشى على رصيف واسع ملئ بأشجار ضخمة . . .
بـــــــاولا : دييجو (يلاحظ أنه شارد) دعك من المشى عجبا . . . هل كنت تمشى وحدك ؟
ديــــجـــو : (يخفض عينيه) لا أتذكر .
بـــــــاولا : (مستفزة) أتذكر أنا ، كان خطيبى يأخذنى من ذراعى عند أكياس التبن . . . وكان التبن يتعلق بشـعرى ، وذات يوم كنا نستحم فى البـحر وانتـابتنى رعشـة شديدة وكنت على وشك الـغرق . . . وأنقذنى هو ونشفنى ، ألا يضايقك ما أحكيه ؟
ديــــجـــو : كنت أدخل كل ليلة إلى غرفـتها وكانت تقـوم بدور النائمة . كانت تترك الباب مفتوحا لكى أدخل وعلى مدى أوقات كثيرة لم نكن نتكلم عن أى شئ نهـارا ولـم يكن أى منا ينظر للآخر كأننا لا نعرف بعض ، وفى الليل كنا نشرب فقط .
بـــــــاولا : ومن كانت تلك المرأة .
ديــــجـــو : لا أتذكر اسمها .
بـــــــاولا : لم يعد لهـذا أهمية لأن أى شئ بالخارج ليس مـوجودا ، لم يوجد أبداً . هيا .
ديــــجـــو : إلى أين ؟

---

* اسم لعبة من ألعاب الورق

باولا : إلى الرقص (خطوات رقص بطيئة) فالس ، مازوركا ، بولكا ، ريجودون . هيا واخرجني .

دييجو : ولكن من أين ؟ فهذا الشئ لم نفعله أبداً يا باولا .

باولا : هيا . ارقص .

دييجو : وإن كنت لا أعرف .

باولا : يا للمصيبة ، تعال وسأوجهك أنا . (يرقصان) .

الأم : خونة ، خونة . (تتوقف الموسيقى) .

باولا : أول القصيدة كفر . ينقصنا أيضا النحس . (تحرك مؤشر المذياع) .

صوت المذيع : كما أعلنا في موجز أمس ، نقرأ على حضراتكم الآن نفس المرسوم . .

(تغير باولا المحطة . موسيقى) .

دييجو : (يصرخ) دعيه . . . هو نفس الصوت ، نفس الصوت ، (تبحث عن المحطة وبعد عدة تمتمات يظهر المذيع) .

صوت : وفي اجتماعه المنعقد في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر لعام ١٩٦٦ أصدر الآتي : المادة الأولى - اعفاء كل من صدرت ضدهم أحكام سياسية والتي كانت متوقفة على التنفيذ .
المادة الثانية - سيجري العمل بهذا العفو من قبل لجنة تصفية المسئوليات السياسية في موعد أقصاه الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر ١٩٦٦ . . .

(يغطي هذا الحوار على صوت المذيع)

الأم : (عند قراءة الكلمات الأولى) لا يا دون روفينو . لا !

باولا : آماه !!! (عند قراءة المادة الثانية) كان حقيقة .

ديـيـــجــو : (دون أن يستمع) لا ، لا ، لا ، لا . . .

بـــــــاولا : كان حقيقة يا دييجو . إنها الحقيقة .

(يستمر دييجو فى ترديد كلمة لا . تهزه باولا ، يضربان المذياع الذى يسكت) .

يجب أن تذهب حالاً وتقدم نفسك فى مجلس البلدية أو فى أى مكان أو فى ثكنات الحراس أفضل .

ديـيـــجــو : إنهـا حـيلة . يقـولون هذا لكى أخـرج ، لكى يحـمـروننى بالطلقـات أعلى. إنهم يتـرقـبوننى لكـى يمطروننى بوابل من الطلقات فى وجهى .

بـــــــاولا : يجب أن تخرج يا دييجو ، وهذا ما كنت تنتظره وقد حدث .

ديـيـــجــو : لقد ابلغت عنى . إنها حيلة .

بـــــــاولا : أقسم بأنى لم أبلغ عنك يا دييجو .

ديـيـــجــو : لن أذهب ، لن أذهب ، لن أذهب .

بـــــــاولا : إنك تتوهم وهذ شئ سئ جـداً للإنسان (يرفض دييجو) إن لم تذهب أنت سأذهب وأخبرهم بمكانك .

ديـيـــجــو : إن قمت بهذا سأقتلك يا باولا . سأقتلك بالفعل .

الأم : اقتلهم يا ديونيسيو فـأنت الأشد قوة . كانت ضلوعى تطقطق عند عناقك لى .

بـــــــاولا : اسمعنى يـا دييجو (يتزوى) تعال هنا واسمـعنى . فأعلى توجد الشمس والنور ، هل نسيت ؟

ديـيـــجــو : يوجد الآخرون أعلى . إن كنا لا نعرف شيـئا ، لماذا سيوجد أعلى النور ؟ ولماذا لا يكون هنا كل النور ؟ لقـد خُلقتِ لهذا النور . لن أخرج ، ألا تفهمين ؟ ما هو أعلى يمكن أن يكون

موجودا أو غير موجود ، يمكن أن يكون حقيقياً أو غير ذلك ، ولكن الشئ الحقيقى هو ما نملكه نحن أهل القاع .

باولا : أعرف ذلك جيداً . توجد أعلى الأعشاب ، الطيور ، خليط السكر والبيض . . .

ديجو : لقد أكدت لى هذا من قبل : يجب أن تكون على هذا الحال ، إنه القانون ، إذا خرجت أنا من هذا الجحر فسيدخل مكانى شخص آخر . لقد تعودت ، لن أخرج يا باولا . (يجلس) ألم يكن كل واحد منا قدر الآخر ؟ أنت قدرى وأنا قدرك ؟ لماذا نبحث عن مصير آخر فى الخارج ؟

باولا : يجب أن تتصرف كالرجال .

ديجو : وهل سيطلب أهل القمة منى أن أتصرف الآن كالرجال ؟ فعلى مدى سنوات طويلة لم يتركونى أتصرف كالرجال . لقد نسيت هذه الصفة .

باولا : تذكر لوم أولادك . تستطيع الآن أن تعطيهم اسمك . أن يكون لهم اسما مثلك . اخرج واعطه لهم .

ديجو : لقد رحلوا ، ذهبوا ولن يعودوا ولن يعرفوا أبدا .

باولا : لا يهم . ستعرف أنت وهذا يكفى .

ديجو : لا . وما الفائدة التى ستعم عليهم إذا حملوا اسم راميريث هناك فى الخارج ؟ فبالنسبة لهم سيان : لقد اختاروا وأنا أيضاً اخترت ، من قبل كان اختيارى اضطراريا أما الآن فهو بمحض إرادتى .

باولا : (بعد لحظة) حسنا . ليس أمامى سوى أن . أقول لك شيئاً . إن

لم تكن تريد أن تفعله من أجل أجوستين أو دميان أو مانويل ، ما فعله من أجل ابن آخر . سيكون لى ابن آخر ، ابن آخر منك .

ديــجــو : أنت ؟

بــــاولا : نعم أنا ، ماذا حدث ؟ فأنا فى فترة متقدمة من الحمل .

ديــجــو : (ينظر إليها) كم شهر ؟

بــــاولا : كل الأشهر تقريباً .

ديــجــو : اقسمى بوالدك .

بــــاولا : أقسم لك .

ديــجــو : بوالدك .

بــــاولا : بوالدى .

ديــجــو: قولى مرة واحدة أقسم بوالدى

بــــاولا : أقسم لك بوالدى . اعط لهذا الابن على الأقل اسمك .

ديــجــو : ابن . . . سيولد فى الشمس .

بــــاولا : الشمس والنجوم يا دييجو .

ديــجــو : (يقفز تقريبا من الفرحة) أمام العصافيـر . تحت الأشجار وسأستطيع الدفاع عنه ضد الجميع ، أضـرب من يسبه ، أشتم من يلمس شعرة من ثيـابه بأمه . . . سأعلمه كيف يصعـد إلى الأغصان العالية جداً . . . (تبتسم باولا) حسنا . يجب على أن أعلمه أولا . . . أن يأخذ العش باهتمام شديد . . . أن يعبر الشارع ناظراً أولاً إلى ناحية وبعد ذلك إلي الناحية الآخرى .

بــــاولا : إلى اليسار أولا وبعد ذلك إلى اليمين .

ديــجــو : (كمن كان ينتظر منها ما قالته) أعرف ذلك . سأشترى له حصانا .

بـــــــاولا : (كمن يقيس أثر كذبه ويستمر فيه) من الورق ؟
ديـــجـــو : بلهاء ! من لحم !
بـــــــاولا : وقبعتي الوردية ؟
ديـــجـــو : سأشتريها بعد ذلك .
بـــــــاولا : والجمبرى الطازج ؟
ديـــجـــو : بَعد .
بـــــــاولا : بعد ماذا ؟
ديـــجـــو : لا أعرف ولكن بعد ذلك . لاترددى حماقات .
بـــــــاولا : وهل ستحبه أكثر منى ؟
ديـــجـــو : نعم . لن أفعل من أجلك ما سأفعله من أجله . فمن أجلك سأبقى معك ومن أجله سأبحث عن نفسى . أريد أن أعود لحالتى السابقة ، أن أبعث ، أن أكون ديجو راميريث . . . وسأعلمه أيضاً أن يحتسى كأسا من أجود الخمور كل مساء وأن يلعب الموس الذى ليس من السهل تعلمه .
بـــــــاولا : ولكنك لم تعلمنى لعب الموس . (بحقد) أقسم لك أننى أتساءل أحيانا إذا كنا انجبنا ابنا .
ديـــجـــو : وبماذا تجيبين على هذا السؤال ؟
بـــــــاولا : لا شئ . (خائفة) .
ديـــجـــو : حسنا ما تفعلين سأذهب .
بـــــــاولا : احلق ذقنك قبل أن تذهب لأن هيئتك لا تسر . سيعتقدون أنك قاطع طريق تعيش فى الجبل .
ديـــجـــو : ليس لدى وقت . (يشد خطاف الباب) .

باولا : لا يزال هناك وقت . قل لى القصيدة الشعرية التى قلتها لى ذات يوم الخاصة بالقردة التى طلعت الشجرة ، لست أدرى أى شجرة .

دييجو : لقد نسيتها .

باولا : أحمل البندقية التى احضرتها فليس لديك رخصة إحراز سلاح ولا تجعل الشيطان يلعب بك . . . (تصل إليها) ولكن يجب أن ننظفها قليلا ، سأحضر لك الزيت أو الخل . أيهما تريد ؟ أو ملح أو ما تطلبه منى . حالة البندقية لا تسر ويجب أن تترك لديهم انطباعا جيداً . . . فأنت ، على عكسى ، لا تعرف كيف يكون أهل القمة . . . (تحاول أن تحجزه ولكنه يهرب منها . يتجه نحو اعلى ليخرج) لقد كنا سعداء هنا يا دييجو . . . لديك حق : لماذا لانحاول معرفة أشياء أخرى ؟ من قال لك أن هذا سيكون أفضل ؟ . . . دعنى أنظف قميصك لأنه وسخ جداً . . . ماذا سيقولون عنى ؟ . . . اجبنى يا دييجو حتى على سؤال واحد : هل أنت متزوج ؟ . . . أنت لا تعرفهم يا دييجو دعنى أرافقك . . . فأنت لا تفهم لغتهم . . . (رد فعل اخير) ستبدأ فى الاستغناء عنى ، آليس كذلك ؟ كالطفل الذى تعلم المشى . أنانى ! صفف شعرك جيداً . . . فستكون مختلفا هناك أعلى . وسأختلف أنا أيضاً وسنختلف نحن الاثنين وسيحب بعضنا بعضا مرة أخرى . (قهقهة من الأم) اعذنى ياديجو . (خرج) خذ حذرك من هذه الطرق فالقرية لا تزال بعيدة وسر دائما على اليمين . . . عذنى ياديجو ولو حتى بالإشارة ولكن عذنى .

(حزينة ، ذليلة) يخرج فى الوقت الذى كنا سنرقص فيه ! (تشير الى المذياع) عليك اللعنة ! (قهقهة من الأم . تلقى باولا للمذياع) سألد له ابنا ، سيكون ابنى الحقيقى ولكن يا للألم . . . لماذا لا نصرخين الآن فى الوقت المطلوب فيه الصراخ ؟ (بسمة) لماذا لا تقولى لى حضرتك حكاية الطفلة التى بها غمش ولا تستطيع أن تبوز قبل البكاء ؟ (صمت) أماه ، أماه !

الأم : من قال لك هذا ؟

باولا : ماذا ؟

الأم : أنى أمك . الوقت ليلا ، أليس كذلك ؟

باولا : سيطلع الفجر .

الأم : ذهب رجل ليتمشى منذ ثلاثين عاما ولا تزال زوجته فى انتظاره (بسمة) دائما ليلا .

باولا : لقد خدعته لأننى لست حبلى . . . لن يكون لى أى شئ . . . لقد قضم أطراف رجلى ، آخ ، آخ ، آخ ! كما لو كان جرواً . . .

الأم :

منذ طفولتى وأنا مستاءة
بعض الشئ من هذه الرجل .
وفى مسيرة الآباء الكرمليين
كنت أتظاهر بالعرج
وإن كنت كذلك فانى أتظاهر به جيداً

باولا : كنت ألعق شعر صدره كالبقرة التى تلعق العجل . لن يعود مرة أخرى .

الأم : قلت أن الوقت ليلا .

باولا : نعم . امسحى بيدك على شعرى . (اشارة لكى تبعدها) قليلا ، استحلفك بالله . أى عمل يكلفك ؟ فلكتونى حضرتك من تكونى .

الأم : «مات زوجها
لن يعود أبداً ، أبداً .»
والكونتسة التى كانت تعرفه
لم تكف عن البكاء .

(يظهر دييجو أعلى . تسمعه باولا وتجرى لتلحق به وتصطحبه إلى أسفل) .

باولا : هل أنت هنا ؟ أنت هنا ! أنت؟ !

دييجو : لا .

باولا : لقد عاد يا أماه . خذى يا سيادة الكونتيسة . لقد عاد من أجلى .

دييجو : لا . لم أستطع الرؤية بسبب الشمس الساطعة الموجودة فى الخارج . كنت فى حاجة إلى خرقة سوداء . . . لم أستطع المشى . لقد وقعت ثلاث مرات .

باولا : ثلاث مرات؟

دييجو : نعم .

باولا : ولم تقدم نفسك ؟

دييجو : لا . ما يوجد أعلى ليس جميلا ولا قبيحاً . سيان ، لأنى لا أهمهم . لم ينظر إلى أحد ولا حتى ليطلق على النار وأموت . لا يوجد أحد . لا يوجد أحد . . .

بـــــاولا : المهم أنك هنا الآن . لا أريد أن أعرف أى شئ . سأجهز لك الخمر والخبز . اجلس لأنك مجهد . لم تتعود على الإجهاد . سأرعاك ، سأوثر سريرك ، سأغسل غطاء وسادتك كل يوم . سأضع قفاى تحت رجلك لكى تطأها . لقد عاد من أجلى يا أماه .

ديـيـــجــو : لقد كنت مصدر إزعاج لك دائماً .

بـــــاولا : لا يهم . لايهمنى مـا تفكر فيه . أشرب الخـمر ، خذ : تبغ وموسيقى وخبز مقدس . كل ما تطلبه ولكن ابق هنا فلن أجد أبداً شخصاً مثلك .

ديـيـــجــو : لن تجدى أبداً من يعتمد عليك كـثيرا ، أليس كذلك ؟ هذا ما تريدين قوله . إنسان يحتاجك أكثر . إنسان تكونى له العطش وكوب الماء ، أليس كذلك ؟

بـــــاولا : لا يهم إن كان هذا صحيحاً أم لا ، المهم أن تبقى .

(يلقى دييجو بالخمر فى وجهها . تعود وتملأ الكأس دون أن تنظف وجهها) إلقه مرة أخرى . (يشرب دييجو.) هل تحبنى ؟

ديـيـــجــو : تجرح الحجارة أعلى .

بـــــاولا : هل تحبنى ؟

ديـيـــجــو : توجد أشجار قليلة ولكنها بعيدة جيداً .

بـــــاولا : هل تحبنى ؟

ديـيـــجــو : اعتقدت أننى سأجد نفسى مع الطيور عقب خروجى .

بـــــاولا : هل تحبنى ؟ أجب .

ديـيـــجــو : لقد خدشت ركبتى ؟

بـــــــاولا : هذا هو ثانى خـدش أعالجك منه ، سأداويه لك بـلسانى هل تحبنى ؟

ديـــجــو : أنت الشئ الوحيد الذى أمتلكه .

بـــــــاولا : ولهذا جعلتنى أشعـر بالملل . كان من الممكن أن يقتلوك أعلى كالزرزور قبل أن تسلم نفسك أو بعـد دون أن يسمحوا لك أن تشرح الأسـباب ، كالعقـرب تحت الحجر الذى يعيش فـيه . يجف الدم أعلى بسـرعة نظراً لوجود الشـمس . . . أنا الشئ الوحيد الذى تملكه ، أليس كذلك .

ديـــجــو : أجل .

بـــــــاولا : (تقوم وتتغير) إذهب إذن وسلم نفسك أعلى .

ديـــجــو : لا !

بـــــــاولا : ما كـنت ستـقوم به من أجل الابن ، اعـمله من أجلى . لن نستطيع العيش فى هذا المكان . لقد قلنا أشياء كثيرة : الحقيقة . ليس ممكنا أن نبدأ من جـديد . ليس من الممكن أن ننسى كل شى . أجدك الآن على نفس الحالة التى وجدتك عليها عندما جئت إلـى هنا ، من الضرورى تغـيـيـر الجحر اذهب واغـتنم الفرصة .

ديـــجــو : لا !

بـــــــاولا : اذهب ! ستقـدم نفسك وستعـود لى لأنك تحبنى وليس لأنك ستكون فى حاجة إلّى .

ديـــجــو : لقد علت ، ألا يكفيك هذا ؟

بـــــــاولا : لا . لا . فقليلا قليلا سيحب كل منا الآخر حسبما يُعطى لنا .

قف وخذ البندقية .

ديجو : (دونما أية رغبة فى أخذها) لا . أما هذه فلا .

باولا : خذ البندقية وإلا سأذهب وأبلغ عنك وسأخبرهم إنك وصلت لتوك ، فأنا صديقة الحارس ، صديقة حميمة . لن يصدقوك فأنا أعرف المفتشين جيداً ولن يكون لك أثر . اذهب .

ديجو : دعينى أصلى .

باولا : صلِ بسرعة .

ديجو : (راكعا ، عصبياً جدا) اثنان فى اثنان يساوى أربعة اثنان فى ثلاثة يساوى ستة . اثنان فى أربعة يساوى ثمانية اثنان فى خمسة يساوى عشرة . . .

باولا : أين تعلمت هذه الصلاة ؟

ديجو : فى كتاب تعليم القراءة .

باولا : إنها صلاة غريبة جداً . قم ، لقد حان الوقت .

ديجو : (بينما تقول هى لا برأسها.) دعينى أنظف البندقية وأحلق ذقنى وأغير القميص . . . أحبك .

باولا : لكى تقول «أحبك» يجب أن تقول أولا «أنا»

ديجو : أنا

باولا : لا تقال هكذا .

ديجو : (بنغمات مختلفة) أنا ، أنا ، أنا ، أنا ، .

باولا : لا . يجب أن تقولها أعلى لا هنا . يجب أن يتركوك تقولها أولا أهل القمة .

ديجو : تعالى معى .

باولا : لا . إلى مثل هذه الأماكن يجب أن تذهب وحدك . لقد كنت مخطئة . لقد انتهى الشركاء فى الجريمة . يجب أن آخذ الأشياء وأنظفها وأصفف شعرى . يجب أن أحتسى كأساً من أجود أنواع الخمر، أليس كذلك يا أماه ؟ (تبتسم الأم) لا أستطيع أن أرافقك .

(يتقدم دييجو اثر دفعة من باولا ويصعد أولى درجات السلم.) هل هذه هى طريقة حبنا ، لم نخترها أليس لدينا طرق أخرى . (تدفعه آخر دفعة . يتعثر دييجو ويدوس على حزام البندقية . طلقة . يضع يده على صدره وينظر إلى باولا فى صمت ويخر ميتا نصف جسده أعلى والنصف الآخر أسفل.) لماذا ؟ لماذا (تهز جثمان دييجو بجنون) وأعوامنا السبع والعشرين ؟ قل ! ، قل !

توماس : (يظهر أعلى.) ماذا حدث يا باولا ؟ من هو هذا الرجل ؟

باولا : لا أحد . هذا الرجل لا أحد . لا تعد ثانية ! (تجر جثمان دييجو نحو أسفل . تغلق الخطاف المزدوج الموجود بالباب . ينصرف توماس ببطء.

الأم : سبلى عينيه جيداً .

باولا : (تصرخ .) لا ، لا ، لا !

الأم : (تذهب نحوها وتغلق فمها لكى لا تصرخ.)

انطون ، انطون ،
انطون بيروليرو .
كل شخص ، كل شخص
يتنبه إلى لعبته
ومن لا يتنبه
سيدفع رهينة.
انطون ، انطون ،
انطون بيروليرو . .

(يسدل الستار ببطء وبدون اهتمام) .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ – الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسي سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت . السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبري محمد عبد الغني
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات .	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيميتوفا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرا متي .	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاى إيفانوف	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيفال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عادل السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : علي عبد الرؤوف اليمبي
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسي
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جي أتيال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ – من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكري محمد عياد
١٦٨ – الكاتب وعالمه	تشارلس مورجان	ت : شكري محمد عياد
١٦٩ – نصوص مختارة من تولستوي	ستيفان تسفايج	ت : شكري محمد عياد

(تحت الطبع)

الجانب الدينى للفلسفة
الولاية
مختارات من الشعر اليونانى الحديث
جان كوكتو على شاشة السينما
الأرضة
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة
العنف والنبوءة
العمى والبصيرة (مقالات فى بلاغة النقد المعاصر)
وضع حد
التليفزيون فى الحياة اليومية
أنطوان تشيخوف
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
الإسلام فى السودان
العربى فى الأدب الإسرائيلى
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
فن الرواية
ما بعد المعلومات
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علماً جديداً
مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى
النقد الأدبى الأمريكى
إبداعات أدبية
دراسات فى الأدب والثقافة
موت الأدب
عن الذباب والفئران والبشر
العولمة والتحرير
حجر الشمس
علم اجتماع العلوم
الطريق
الكلام رأسمال
محاورات كونفوشيوس
رحلة إبراهيم بيك
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان
شتاء ٨٤
الشعر والشاعرية
ديوان شمس
عامل المنجم
مصر أرض الوادى
الدرافيل أو الجيل الجديد
سحر مصر
أسفار العهد القديم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٠٥٨ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 181 - 1)